المنشور

العدد ١٥ - شتاء ٢٠٠٩

التجمع اليساري من أجل التغيير



الاعتِصام المفتوح تضامنا مع غزة (ص ٦)

الأساتذة يملأون الفراغ (ص ٩)

باريس
أصداء ١٩٦٨ (ص ١٣)

خصخصة المرافق
العامة (ص ١٦)

أل. بي. سي.
ضد المثليين (ص ١٨)

المسألة اليهودية
رأي وردّ (ص ٢٢)

التحرير في غزّة والتحرر على السكّة

هذه المرّة سقطت مقولة الصمت العربي، وأصبحت الشراكة التعبير الأدقّ لوصف هذه العلاقة بين الكيان الاسرائيلي والأنظمة العربية، لا سيما النظام المصري الذي شارك في حصار القطاع، وكان منبراً لإطلاق التهديدات الإسرائيلية عشية العدوان، ومنبراً لانطلاق التطمينات المضللة، كما استمرّ في إغلاق معبر رفح على مليون ونصف مليون إنسان وعلى أكثر من ٣ آلاف جريح تضيق بهم المستشفيات. حرب غزّة أظهرت بشكلٍ فاضح هذه العلاقة العضوية بين تلك الأنظمة و بين إسرائيل لما تجده من مصالح مشتركة في كسر حركات مقاومة كحماس وإبعادها عن حدودها وسياساتها، خاصة إن هذه الأنظمة أصبحت في حالة عداء شديدة مع شعوبها على كافة الأصعدة، السياسية والإقتصادية والاجتماعية.

إذن، مرة جديدة فشلت الآلة العسكرية الاسرائيلية، ومن معها من أنظمة رسمية عربية وغير عربية من تحقيق أي من الأهداف المخطط لها.

هم لم يتعلّموا! غزّة كلّها قاومت، كما فعل لبنان في تموز ٢٠٠٦، حماس لم تكن وحدها في المواجهة والمقاومة، فأهالي غزّة لم يديروا ظهرهم للمقاومة كما أريد لهم، و لم ينقلبوا عليها، بل صمدوا. هذا الصمود كان العامل الأساسي في الانتصار وفي صدّ العدوان وإفشاله في تحقيق أي مكسب سياسي لإسرائيل أو لحلفائها، وكان سلاح الردع في وجه التصريحات المنطلقة من رام الله والتي كانت تحمّل حماس والمقاومة مسؤولية الحرب و نتائجها..

إن صوت الصمود والمقاومة الذي أرادوا إسكاته في غزّة، تعدّى حدودها واخترق كافّة المعابر، وكان أعلى بكثير من أصوات القنابل والصواريخ الإسرائيلية، والتصريحات العربية، وذلك عبر حركات التضامن الواسعة والتظاهرات وحملات الدعم والتبرّع التي بدأت منذ اليوم الأوّل للعدوان وشملت معظم أنحاء العالم، غير معترفة بأيٍ من الإثنيات أو القوميات، مُدينةً الهمجية الإسرائيلية وداعمةً للمقاومة، لتشكّل بذلك مقاومةً عالميةً عابرةً للحدود والفوارق المُسقَطَة من الأنظمة الإمبريالية التقسيميّة، راسمةً خطّ الدفاع الصلب للمقاومة ولغزة.

لم تقتصر الحركة السياسية في الشارع على إدانة إسرائيل. كانت في أغلبها في مواجهة مع أنظمتها من جهة والعدوان الإسرائيلي من جهة أخرى. لقد أظهرت الحركة التضامنية الأخيرة مع غزّة بوضوح نقمة الشعوب الشديدة على حكّامها وأظهرت وعياً جماهيرياً وسياسياً بأنّ المعركة في غزّة هي المعركة ذاتها في مواجهة أنظمة القمع والعمالة وبالتالي وعياً لضرورة الإنتفاض على هذه الأنظمة وتغييرها.

إنّ هذا الربط الواعي الذي أبرزته الجماهير والحركات السياسية، شكّل نقطة تحول في الحركة السياسية.

لعب اليسار دوراً أساسياً في توسيع هذه الحركة التضامنية العالمية، وقد كان المنظّم الأبرز لكافّة التظاهرات والتحركات، كما كان حلقة ربط بين العديد منها حول العالم. وشكّل أيضاً عاملاً أساسياً لانتاج وعي بضرورة التضامن وضرورة توسيع الخطاب والنضال ليشمل الأنظّمة و سياساتها.

وفي لبنان أنتج اليسار صوتاً يومياً في وجه العدوان من خلال الاعتصام المفتوح أمام مبنى الإسكوا، وأثبت عن قدرته في التحرّك والاستجابة السياسية بينما بقي حلفاء حماس في تراجع واقتصرت تحركات حزب الله على الضاحية والجنوب، في حين تقوم مصر بإقفال معبر رفح، ولم يجرؤ هذا الحزب على تنظيم مظاهرة أمام السفارة المصرية مثلاً.

إنّ تجربة الاعتصام المفتوح أفرزت العديد من الأسئلة التي على اليسار أن يجيب عنها والاعتصام يبقى على الرغم من أهميته في النضال اليساري المشترك والأثر السياسي، خطوة أولى على اليسار أن يراكم عليها ليعيد بناء صفوفه ويعزّز قدرته في التخاطب مع الجماهير والنضال معها، والاستجابة لقضاياها.

الآن على اليسار ألا يبقي حراكه في إطار ردّات الفعل بل عليه أن يكون في حالة نضال وبناء مستمرّين، خاصة أنّه الوحيد القادر على بناء مشروع مقاوم شامل يدرك أهمية توسيع رقعة المقاومة وأهمية الربط بين النضال من أجل تحرير الأرض وتحرير الإنسان من القيود العسكرية والاجتماعية والإقتصادية، في حين تبقى حركات دينية كحماس وحزب الله، بحكم طبيعتها، غير قادرة على هذا الربط والاستجابة. ■

المنشور
العدد ١٥ - شتاء ٢٠٠٩

المنشور نشرة داخلية غير دورية تصدر عن التجمع اليساري من اجل التغيير www.tymat.org

يمكنكم ارسال التعليقات والاراء والتقارير على:

- بريد الكتروني: almanshour@tymat.org - تلفون: ٠٣ ٦٤٧٦٠٥

خطوة إلى الأمام

باسم شيت

كماركسيين، لا نفصل الصراع السياسي عن الصراع الاقتصادي. فالسياسي هو تعبيرعن واقع الصراع الطبقي من خلال انعكاسات التناقضات في طابع القوى السياسية المسيطرة من جهة، والتناقضات بين البنية الفوقية (الدولة، المؤسسات السياسية، الخ...) والبنية التحتية للمجتمع (الطبقات الاقتصادية، الواقع المادي الذي نعيش فيه) من جهة أخرى. دورنا كاشتراكيين وماركسيين ويساريين هو أن نفضح هذه التناقضات ونبني مواجهة سياسية واقتصادية للنظام القائم من خلال موقعنا في الطبقة العاملة. هذا يعني أن نفضح الأفكار السائدة في الطبقة العاملة (الأفكار التي تبثّها الطبقة الحاكمة المسيطرة على أدوات المعرفة من تعليم وإعلام وثقافة...) وبناء بديل ثوري يستطيع أن يبني حركة مواجهة فعلية للقوى الطبقية المسيطرة، إيماناً منا بأن الطبقة العاملة قادرة على تحرير نفسها بنفسها.

الحركة العمّالية وباراك أوباما

صعود أوباما عبّر عن رغبة الملايين في الولايات المتحدة في رؤية التغيير، والأعداد الضخمة التي رافقته في حملته الانتخابية هي أكبر برهان عن وجود هذه الرغبة العارمة في الشارع الأميركي. المسألة الأهمّ هنا هي أنّ الأميركيين من أصول إفريقية كانوا قد حصلوا على حق التصويت منذ ٥٠ سنة فقط، واليوم نرى أوّل رئيس أسود في البيت الأبيض. وقد تلقّت الفكرة القائلة بأنّ العنصرية متجذرة في الشعب الأميركي ضربة قاسية بعد انتخابه.

"انتصار أوباما، بينما هو شأن كبير، ولكنه سوف يغيّر القليل"، هكذا يقول غاري يونغ في جريدة الغارديان البريطانية. من البداية، وضع أوباما نفسه بتأنّ كمرشح "التغيير" وعَرف جيداً إن الأصوات التي سوف تجيّر له ليست أصوات دعم لمرشح الحزب الديمقراطي، بل هي تعبير عن غضب عارم في الشارع الأميركي، من جهة ضد سياسات بوش وحروبه التوسعية، ومن الجهة الأخرى نتيجة الانهيارات الاقتصادية الضخمة الّتي رمت في عرض البحر مستقبل الكثيرين، وتهدّد برمي مليوني عائلة خارج منازلهم.

لا يمكننا النظر إلى أوباما إلا من خلال ما يجري من تغيّرات في صلب الحركة في الشارع من جهة، ومن جهة أخرى، تصرّفات الإدارة الأميركية، ولا يمكننا أبداً بناء الأوهام حول الرئيس الأميركي الجديد. ففي ظل الغضب من المتسببين بالأزمة الاقتصادية، أكّد أوباما التزامه بالرأسمالية الأميركية ووافق على إعطاء ٧٠٠ مليار دولار للشركات العملاقة المفلسة، من دون أي طرح يعيد الأمل إلى ملايين العمّال المتضررين من هذه الشركات.

بالمقابل، نرى الكثير من التحركات العمّالية في الولايات المتحدة. مكتب الإحصاء العمالي (Bureau of Labor Statistics) سجّل ارتفاعاً في عدد المنتسبين للنقابات لأوّل مرة منذ الـ١٩٨٣، حيث انضم ٣١١،٠٠٠ عامل جديد إلى النقابات. وكانت أبرز التحرّكات قيام ٢٧،٠٠٠ عاملاً من شركة بوينغ بالإضراب احتجاجاً على محاولة الشركة استبدال وظائفهم بمصادر خارجية (outsourcing) هرباً من دفع مستحقات الضمان الاجتماعي والتأمين الصحي. هذا مثل واحد عن التحركات التي ينظّمها يومياً عمّال غاضبون في الولايات المتحدة.

في السياسة الخارجية، التزم أوباما الصمت تجاه الاعتداءات على غزّة وأكّد دعمه حماية إسرائيل. هذا يؤكّد التزامه أيضاً بالامبريالية الأميركية، في ظلّ تحركات شعبية كثيرة قامت في الولايات المتحدة ضد الحرب على غزّة. يضع هذا ثقلاً كبيراً على أكتاف أوباما لن يستطيع الرد عليه، والذي قد ينتج فرصة ذهبية للمنظمات العمّالية واليسار لإعادة بناء المقاومة الاقتصادية والسياسية بوجه الرأسمالية والإمبريالية الأميركية.

مقولة "أن العمال الأميركيين باعوا أنفسهم للحلم الأميركي"، أصبحت اليوم مقولة خائبة. إذ أنّه بالرغم من الخوف والغضب تجاه سياسات الحرب والأزمات الاقتصادية، هناك مقاومة تنشأ وإمكانية أكبر لإعادة بناء النقابات، وإمكانية أكبر للربط ما بين العمال البيض والسود واللاتين. وهناك رغبة جدية في المجتمع الأميركي في التغيير ولكن علينا الانتباه جيداً إنّ التغيير هذا، لن يأتي به أوباما، بل سوف تأتي به الطبقة العاملة التي لطالما حُذِف تاريخها من شاشات التلفزيون والإعلام الرأسمالي.

العدوان الإسرائيلي على غزّة

لا بدّ من الإشارة أولاً أن هناك رابط ما بين نهاية ولاية بوش وبداية ولاية أوباما والحرب الإسرائيلية على غزّة، وهناك أيضاً ترابط بين الحرب والانتخابات الإسرائيلية، لكنها ليست نقطة الارتكاز الأساسية في أسباب وأهداف العدوان الصهيوني على غزّة. فسياسات التطهير العرقي الصهيونية مستمرّة منذ قبل ١٩٤٨، وخصوصية العدوان الأخير هو أنه، بالدرجة الأولى، محاولة من السلطة الإسرائيلية وضع معادلات جديدة على أرض الواقع الذي يمكنه أن يعطي الاحتلال قدرة أكبر على الإمساك بزمام الأمور.

المقاومة والصمود في غزّة ضربا المعادلة الإسرائيلية وأجبراها على التراجع ولم تمكّناها من تحقيق أهدافها، ومنعاها من تحقيق أي إنجازٍ فعلي، الأمر الذي شكّل خسارة سياسية هامة أمام حركات المقاومة في المنطقة. الخطة فشلت، لكن المحاولات الإسرائيلية لم تنته، وأكبر دليل هو صعود كبير لليمين الإسرائيلي وخاصة الليكود، حيث يقول نتنياهو (زعيم الليكود) أنه سوف "ينهي المهمة في غزّة" ويهدد باستخدام القوّة ضدّ إيران لمنعها من امتلاك أسلحة نووية.

وقد بدا جلياً أيضاً أن السلطة الإسرائيلية لم تعد تمتلك، بعد حربها على غزّة، اليد الأعلى في تأليب الرأي العام العالمي إلى جانبها، فبينما كانت آلة الحرب الإسرائيلية تدمّر المنازل والبيوت في غزّة كان الملايين حول العالم يصرخون بصوت عالٍ ضد العدوان ودعماً للمقاومة والصمود في غزّة.

كيف تتحرر فلسطين؟

أرادت السلطة الإسرائيلية استخدام الوقت الأنسب لشنّ حربها من دون مواجهة، لكنّها صُدمت كما أنظمة الاعتدال العربي بجهوزية الشارع العربي والعالمي وقدرته على التجييش والتحرّك بمواجهة هذه الحرب. وتراجعت الأنظمة العربية والعالمية المساندة للكيان الصهيوني جرّاء الضغط الشعبي الذي أنتجته حركة مناهضة للحرب، والذي، ومن دون جدال، هو امتداد رصين وجدّي للحركة التي سبقت في عام ٢٠٠٣ (مناهضة الحرب على العراق) وما قبلها.

الحرب على غزّة أثبتت أيضاً إن حلّ الدولتين هو غير ممكن وغير عادل. وأثبتت أنه لا يمكن للسلطة الصهيونية ودعامتها الأساسية الولايات المتحدة أن يقبلا بسلطة فلسطينية مستقلة ولا بدولة مستقلّة. ومن جهة أخرى، من غير الممكن واقعياً ومادياً قيام دولة فلسطينية في ظل الكانتونات والتجزئة الجغرافية وجدار الفصل العنصري.

على اليسار اليوم أن يستعيد الخطاب الذي بَنى على أساسه مقاومته وحركة التحرر وأسس فيه امتداده العالمي، وهو طرح الدولة الفلسطينية الواحدة العلمانية الديمقراطية، حيث يعيش المسلمون والمسيحيون واليهود والملحدون في كيان واحد. وهذا يكون من خلال النضال المشترك للطبقة العاملة الفلسطينية والإسرائيلية ضدّ الكيان الصهيوني. كما أنه أصبح واضحاً أنّ تحرير فلسطين لا يمكن أن يتمّ إلا من خلال نضال الشعوب العربية ضد أنظمة القمع والطغيان الشريكة في العدوان والحصار على غزّة.

اليوم، الصراع من أجل التحرر هو الصراع من أجل التحرير، فمَن يقف في وجه التحرير هي ذاتها الطبقة البرجوازية العربية التي تستغل وتقمع شعوب المنطقة يومياً، ومَن يقاوم اليوم هو نفسه من يقف في الإضراب والمظاهرات من أجل مستقبل أفضل.

المقاومة والدولة

العلاقة بين المقاومة والدولة اليوم في الشرق الأوسط ربما تكون المسألة الأساسية لتحديد واقع القوى السياسية الفاعلة وقدرتها على التغيير. فالدولة وجهازها يبدوان كشبكة يتم رميها على حركات المقاومة لإسكاتها ولجمها، فمن لا يستطيع الإجابة على مسألة الدولة ودورها لا يستطيع أن يكمل مسيرة التحرير والتحرر. هذا ما تواجهه بالذات الحركات الإسلامية المقاومة، التي عند اصطدامها بالدولة وفي المسائل الاقتصادية والحياتية، تلتزم بالخطاب البرجوازي المسيطر.

ينطبق المثل على كلّ من حزب الله وحماس، فمشروعهما المقاوم يهدف في واقعه العملي والسياسي إلى تحسين ظروفهما في معادلة السلطة، وذلك بسبب طبيعة مصالح من يُمثلون طبقياً. حزب الله يمثل جزءاً كبيراً من البرجوازية الصغيرة الشيعية والبرجوازية الصاعدة التي تعمل لإيجاد مكان متقدم لها في النظام الطبقي القائم. وكذلك تعتمد حماس بشكل أساسي على دعم البرجوازية الصغيرة في غزّة، والتي تحاول أن تجد لها مكاناً ما في السلطة القائمة. من هنا نرى خيارهما بالتمسّك بالسلطة وبداية التراجع التدريجي في خطابها وعدم قطع علاقاتها مع الأنظمة التي كانت شريكة للسلطة الصهيونية في الحرب على غزّة وعدوان تموز ٢٠٠٦.

هذا لا يعني أننا نتوقف عن دعم هذه الحركات المقاومة، بل بالعكس تماماً، إن دعمنا غير مشروط، ولكنْ، لنا حق النقد. كذلك علينا ألاّ نتذيّل لهذه الحركات، كونها عاجزة عن إكمال مسيرة التحرير. من الضروري الاستمرار بالدعم الواعي للمقاومة ولكن، وبشكل مباشر، علينا العمل من أجل إنتاج حركة ثورية تربط ما بين مسألة التحرير والتحرر، وتستطيع فعلياً الإجابة على الأسئلة المطروحة وأن تبني حركة تسعى من أجل التغيير الفعلي وليس بهدف الالتحاق بالطبقة البرجوازية المسيطرة.

التراجع إلى "الوحدة الوطنية"

نشهد في لبنان عملية الالتحاق هذه، خاصة بعد مؤتمر الدوحة، حيث أصبح التوافق و"حكومة الوحدة الوطنية" هي الوصفة التي تعتمدها الطبقات الحاكمة العربية من أجل استيعاب الحركات الاعتراضية وحركات المقاومة. ولم يمرّ على نجاح أوباما الساعات حتى قامت هذه السلطات بالتبشير بالعهد الأميركي المقبل بأنه، حسب وليد جنبلاط، "أمل للمنطقة ولشعوبها". ولكن حتّى هذا التبشير تلقى ضربة قاسية بعد الحرب على غزّة، ممّا أدّى إلى صمتٍ سياسي والاكتفاء بإضاءة الشموع والبكاء على الشهداء.

يؤكد سعي حزب الله باتجاه حكومة الوحدة الوطنية بعد حرب تموز وأحداث ٧ أيّار، أنّه لا يريد مواجهة فعلية مع الأنظمة القائمة، وهو يسعى ليجد لنفسه مكاناً في السلطة. هذا يعود إلى عدم وجود مشروع بديل للواقع المُعاش. وظهر الموقف المتردد أيضاً أثناء الحرب على غزّة، حيث امتنع حزب الله عن الخروج إلى الشارع واجتزأ مواجهة الأنظمة الشريكة في العدوان، فوصل بخطابه إلى السماء دون أية خطوة فعلية تُذكر في المواجهة السياسية المحلية للواقع القائم، وكانت تحرّكاته هزيلة دلّت على تراجع في موقعه السياسي.

في ظلّ هذا التراجع السياسي الذي أصاب جهتي المعادلة الطبقية الطائفية الحاكمة، وجد اليسار نفسه الطرف الأبرز في بناء حركة الدعم والتضامن مع الصمود والمقاومة في غزّة. فكان الاعتصام المفتوح من أمام مبنى الإسكوا، المكان الأبرز لتبلور هذه الحركة التي جمعت اليسار من معظم أطيافه، ليعدو بخطىً ثابتة، وإن كانت في كثيرٍ من الأحيان صعبة من جهة بناء الحراك بين المنظّمات والأحزاب اليسارية. ولكنه استطاع في أوّل تجربة من نوعها بعد حرب تموز أن ينخرط في موقع متقدّم في الصراع السياسي المباشر وبموقفٍ يربط فعلياً ما بين مقاومة الشعوب العربية منْ أجل التحرر من أنظمتها والمقاومة المباشرة من أجل التحرير، والذي كان استكمالاً لتراث سياسي يساري بُني من خلال الاعتصام المفتوح ضد حصار رام الله في الـ٢٠٠٢، وحملة "لا للحرب-لا للديكتاتوريات" في الـ٢٠٠٣.

اليسار والانتخابات

في الوجه الآخر للصراع في لبنان، تشهد الحكومة الحالية مناوشات بين طرفي السلطة، وخاصة في التحضير للانتخابات، والكلّ إلى مواقعه يجيّش ويتحضّر للمعركة القادمة. ورأينا مهرجان ١٤ شباط، التي حاولت قوى ١٤ آذار من خلاله إعادة تجميع قواها للمعركة القادمة، واليوم ننتظر ردّة فعل قوى المعارضة. المعركة الانتخابية القادمة تبقى سياسية بامتياز. فخطاب المعارضة ينادي بإصلاحات طفيفة تلتزم بحدود تمكين موقع البرجوازية في السلطة ويواجه، في الوقت نفسه، معركة من أجل حماية المقاومة، مما يكسبه وقعاً جماهيرياً أوسع من قوى ١٤ آذار. ولكن تراجعه في كثير من المواقف السياسية التي تُعنى بحياة الناس (الحد الأدنى للأجور، الخصخصة، الخ...) أدّى إلى تراجع الأصوات المؤيدة له، واتجه الكثيرون

من الناس إلى "الوسط"، أي إلى البحث عن بديل، أو فقدان الأمل.

هـذا الـواقـع هـو مـا شجّع جنبلاط للقيام بمناورة إنشاء قطب وسطي لم يعمّر كثيراً، خاصة وإنّ هذه المحاولة كانت واضحة في أنّها ليست إلا محاولة لتقليص أصوات المعارضة.

على اليسار أن يتجه إلى أرض المعركة السياسية القادمة ويدخل في طرح بديل جدي عن القوى السياسية المسيطرة، وفضح الديمقراطية المزيفة التي تعيد إنتاج القوى نفسها وتحمي البرجوازية الطائفية المسيطرة من النقمة والمعارضات الشعبية. ولكن دخول الانتخابات لا يجب أن يكون من ضمن منطق برلماني أو من أجل التمجلس في المقاعد والاجتماعات والكومبينات والاتفاقات العقيمة، بل من أجل فضح النظام وتأليب الـرأي الـعـام عليه، لأن التغيير لـن يُقرّ في مجلس نيابي تحتلّ فيه البرجوازية تاريخياً الأغلبية الأكبر من المقاعد بينما هي فعلياً على أرض الواقع الأقلية. بل سيتمّ فرض هذا التغيير على النظام من قبل حركات جماهيرية تصعد من الشارع، من العمال والطلاب، من الناس أنفسهم.

ومن هنا، على اليسار أن يطرح مشروعاً سياسياً تقدمياً يستطيع الاستفادة من النقمة الموجودة على القوى المسيطرة من أجل إنتاج حركة سياسية أوسع وينتقل إلى صلب المعركة السياسية، من دون التخلّي عن مواقفه بشأن قانون الانتخابات أو من مواقفه في الشأن الاقتصادي والاجتماعي وعن الحقوق المدنية للشعب الفلسطيني، والمساواة والعدالة. إنّ الانتخابات هي أداة لتأليب الرأي العام على الواقع الذي نعيش فيه من أجل بناء حركة ثورية في المجتمع، وليست هدفاً بحد ذاتها. وهذا ما يجب أن يكون المرتكز الذي ينطلق منه اليسار إلى المعركة القادمة.

فالطرح القائل بأن نرتمي في أحضان المعارضة، ليس إلا تهرب من المعركة. يجب تكون لنا الجرأة للقول إننا مع المقاومة وسنحميها ونبنيها، لكننا لن نقبل بأن نكون شهود زور على ما تقوم به المعارضة بالشراكة مع الموالاة في تضييق الخناق أكثر وأكثر على الناس وتركهم لرحمة فوضى السوق التي تهدد الآلاف بالفقر والجوع. لن نرضى أن يبقى هذا النظام الطائفي النتن يتحكّم بحياتنا وبمستقبلنا. ■

وادي فرانتز فانون للإستبدال فقط



في ٢ أيار من العام ١٨٣٤، وخلال جلسة للمجلس النيابي الفرنسي، صرّح النائب ألفونس دو لامارتين، بوكالته عن منطقة Bergues، الواقعة في شمال فرنسا، مبرراً الاحتلال الفرنسي للجزائر. ولدعم حججه، اعتبر أنّ "تسليم الشواطئ والمدن الأفريقية إلى الأمراء العرب، تعني تسليم الإنسانية إلى البربرية والبحر لحراسة القراصنة وتسليم مستعمراتنا إلى إنسانية الجلادين". وهو يدرك بعمق بأنّ "نظام المستعمرات يدخل بشكل عميق ضمن النظام السياسي الفرنسي". ويضيف "إنّ الإنسحاب وإنزال العلم الفرنسي عن أرض الجزائر، تعني إغلاق التجارة وطريق الشرق التي فتحناها".

هذا في فرنسا، أمّا هنا في لبنان، فلا يجد اللبنانويون غرابةً في تسمية وادٍ رائع يمتدّ ليشمل جرود قضاء بعبدا. بوادي لامارتين، تسمية جاءت لمجرّد أنّه بوّل تحت صنوبرة أو سنديانة، واندهش بجمال الوادي. ليس من المستغرب أن يصرّح مثقفاً من الاستبلشمنت الفرنسي تصريحاً كهذا. ولكن الغرابة تكمن في استمرار هذا الاسم إلى اليوم.

فلنستبدل هذه التسمية بفرانتز فانون، الفرنسي الذي كنّس نفايات مثل لامارتين من الجزائر. قائلاً: "اليوم لقد وقفنا وسنندفع، ولا نعتقد أنّه يوجد أيّة قوّة تستطيع أن تردعنا عن مسيرنا..."

الاعتصام المفتوح: تجربة في العمل المشترك

رشاد شمعون



خلال التحرّكات الأخيرة المناهضة للحرب على غزّة، ثبّت اليسار خطاه نحو استعادة فاعليته السياسية في الشارع. فقد شكّل اليسار في العالم حجر الزاوية لأغلب التحرّكات المطالبة بوقف المحرقة الإسرائيلية في غزّة. أعطى حضور اليسار الكثيف والجدي لحركة مناهضة الحرب زخماً وسرعة أكبر في ردة الفعل وأفقاً سياسياً أوسع ميّز الحركة المناهضة للحرب على غزة عن سابقاتها التي واكبت الحرب على العراق في ٢٠٠٣ والعدوان الإسرائيلي على لبنان في ٢٠٠٦.

في لبنان، اجتمع اليساريون على خطاب سياسي اشتمل على رفض العدوان ودعم المقاومة وربط نضالها في فلسطين بنضال شعوب المنطقة كافة ضد أنظمة القمع العربية الشريكة بالعدوان والمتآمرة معه (ولو بتفاوت). وفي ذلك الإجماع، أثبت اليسار في لبنان أنه ما زال وفياً لمخزونه الفكري وأدبياته. أما عملياً، فقد رفع اليساريون خطابهم السياسي من خلال تحركاتهم التي كانت الأكبر والأكثر تواصلاً وزخماً.

رافق اليسار مجريات غزة منذ اليوم الأول للهجوم الإسرائيلي عليها، حيث أعلن عن اعتصامه المفتوح أمام مبنى الإسكوا، والذي تحوّل إلى نقطة انطلاق لتحركات رمزية يومية استمرت طيلة فترة المعارك. كما نظّم الاعتصام خمس مظاهرات مركزية استهدف اثنان منها السفارة الأميركية في عوكر وطال الباقي جامعة الدول العربية والسفارة المصرية وممثلية الاتحاد الأوروبي. كما نظم اللقاء اليساري التشاوري مسيرةً حاشدةً انطلقت من جسر البربير إلى الإسكوا.

في المقابل، اكتفت قوى الرابع عشر من آذار بتحرك يتيم أمام مبنى الإسكوا وقامت بإضاءة بعض الشموع حزناً على "قتلى" غزّة، كما يحلو لقنوات التلفزة الناطقة باسم محور الاعتدال العربي أن تسمي الشهداء. بينما بانت التحركات المتقطّعة لقوى الثامن من آذار هزيلة في الحشد، نسبةً للمظاهرات المليونية التي نظمتها عقب انتهاء حرب تموز ٢٠٠٦، وفاقدة كليّاً للوضوح السياسي في اختيارها للأماكن التي استهدفتها، إذ أنها تجنبت استهداف أية سفارة عربية واكتفت بتحركات بروتوكولية أمام السفارة الأميركية والإتحاد الأوروبي.

كما شكّل الموقف السياسي الجذري لليسار نقطة ايجابية تبشّر باستعادته لعافيته شيئاً فشيئاً. فشكّل الاعتصام المفتوح نقلة نوعية في أداء اليسار، إذ أنّها المرة الأولى منذ زمن التي تجتمع فيها أغلب أقطاب اليسار على خطاب سياسي موحّد وحركة سياسية واحدة انطلقت بزخم وتواصلت إلى حدّها الأقصى، متخطيةً الخلافات الفئوية التي لطالما قتلت حركة اليسار في مهدها. وأعطى الاعتصام قواعد اليسار فرصة فريدة في التقارب والنقاش الجدي الذي تبلور في ندوات ونقاشات عامة عدّة نظمها الاعتصام وطرحت مواضيع شتّى كان أبرزها سياسة المقاطعة والحقوق المدنية للاجئين الفلسطينيين في لبنان.

تشكل كل هذه المعطيات المذكورة إيجابيات لا بدّ لليسار من استثمارها وتثبيتها كنقطة انطلاق له نحو مزيد من الفاعلية والوحدة. فعلينا اليوم كيساريين أن نتمسّك بالعمل المشترك على القضايا المشتركة متخطّين كل فئوية قد تحبط هذه الإمكانية. كما علينا البناء على النقاش والحوار البنّاء الذي يعيد اللحمة إلى صفوف اليسار في المتفق حوله من المواضيع ويوضح ويحدد أوجه الخلاف فاتحاً نوافذ عدّة لحلها.

هذا التقدم الملحوظ لليسار لم يخل بالطبع من عدد من الشوائب التي نتحمّل مسؤوليتها جماعياً، والتي نؤمن بأن تسليط الأضواء عليها حيوي جداً في عملية تطوير عمل اليسار وفعاليته. فبالرغم من تقدّم المجموعات اليسارية خطوات عدّة نحو تخطي الفئوية والتخوين والتهميش في التعاطي المشترك مع بعضها البعض، أظهر العمل في الشارع أنّ الجو الأمني الذي يسود البلاد منذ عقود ما زال يؤثر عميقاً في عمل اليسار. ففي أوّل تحرّك ينظمه الاعتصام أمام السفارة المصرية ويجتذب شباباً من خارج "القبيلة اليسارية"، انقسم رأي المنظمين بين من حاول فصل المظاهرة عن الوافدين الجدد وبين من حاول تنظيم هؤلاء الشباب في صفوف المظاهرة.

وحين اندلعت اشتباكات بين قوى مكافحة الشغب والمتظاهرين الغاضبين كان عدد من بقي في المظاهرة من المنظّمين قليلاً جداً، وترك المتظاهرين فريسة سهلة لفهود قوى الأمن الداخلي وقنابلهم المسيلة للدموع (والدماء)، ليظهر في الإعلام على الفور تقارير مفادها أن بعض "الزعران" هاجموا القوى الأمنية، مُفرغةً بذلك التحرّك من مضمونه السياسي. أظهرت هذه المظاهرة مشكلتان على اليسار تخطيهما لمضاعفة قدراته على استقطاب الشارع وكسب ثقته. الأولى هي ضعف التنسيق، وذلك طبيعي لانتفاء الخبرات السابقة والمشتركة، والثانية هي فئوية في التعاطي مع كلّ من لا يبدو مألوفاً لنا. لم يخل الاعتصام المفتوح كذلك من تلك الشوائب الفئوية النابعة من حرص أمني، إذ تعاطى البعض مع كلّ وافد جديد إلى الاعتصام بريبة مبالغة. هذا الحرص الأمنيّ المُبالغ فيه والخوف من أي اصطدام غير مدروس مع القوى الأمنية يؤثر سلباً على ثقة الجماهير بنا. فقد اختارت معظم التنظيمات اليسارية أن لا تنظم أي مظاهرة كبيرة قد تستغرق أكثر من عشر دقائق أمام السفارة المصرية منعاً لاجتذاب هكذا تحرك مجدداً لـ"مندسين" من المخيمات

أو المناطق المحيطة بالسفارة. وفي المقابل، أظهرت هذه المنظمات حماساً عظيماً في ما يتعلّق بالذهاب إلى عوكر حيث الحضور مضبوط و"أهلية بمحلية"، بالإضافة إلى الاطمئنان إلى عدم إمكانية الجمهور اقتحام السفارة مهما بلغت الاصطدامات من عنف. سبب آخر للحماس الزائد في ما يتعلّق بالتحرّك إلى السفارة الأميركية، هو التراث الإعلامي الذي يقضي بمتابعة كل المظاهرات أمام السفارة الأميركية.

التمسّك بتغطية وسائل الإعلام التقليدية كخيار وحيد للاتصال بالجماهير، لا بل كهدف شبه وحيد للتحرك، هو العنوان الأبرز في المعوّقات التي واجهت اليسار في سعيه إلى توسيع حركة التضامن مع غزّة ورفض الحرب عليها. فما زلنا كيساريين نعترف بمناطق محظورة علينا كما نعترف بعدم إمكانية التفاعل مع جمهورها. بينما أظهرت التجربة أن هذا المنطق فيه الكثير من المبالغة إذ استطاع اعتصام نظّمه التجمع اليساري من أجل التغيير وجمعية أتاك، بمشاركة الرفاق من الاعتصام، في ساحة ساسين في الأشرفية أن يجتذب عدداً كبيراً من سكان المنطقة على خطابٍ يرفض الحرب على غزّة والمجازر الإسرائيلية المرتكبة هناك.

على كلّ حزب يساري يسعى للتغيير أن يدرك أنه جزء من حركة سياسية طبقية، لا أن يتوهم أنه الحركة بحدّ ذاتها، وأيضاً أن تفاعله مع هذه الحركة هو الطريقة الوحيدة لتطوير قدرته على مخاطبتها وتأطيرها وتنظيمها، بعكس الميثولوجيا القائلة بضرورة بناء الحزب وقدراته التنظيمية وانضباطه قبل الانخراط في أي عمل جماهيري، والتي تتبنّاها معظم المنظمات اليسارية في لبنان.

فلنثق بأنفسنا وبالطبقة التي نمثل. فلنكن أكثر جرأة ولنمتّن لحمتنا مع جماهيرنا. فالمستقبل لنا ولها. ■

عدوان على غزّة!
ما العمل؟

مقابلة مع فرح رويساتي ناشطة ضد الحرب

ماذا فعلت عندما سمعت عن العدوان الإسرائيلي على غزّة؟

منذ اليوم الأول للحرب الإسرائيلية على غزة، إضافة طبعاً إلى متابعة الأوضاع هناك عبر شاشات التلفزة والصحف والإنترنت، آثرت جمع المعلومات حول مختلف أشكال التضامن مع غزة، من تظاهرات واعتصامات وغيرها، للمشاركة فيها ونشرها عبر الإنترنت (فايسبوك) لتأمين أوسع مشاركة ممكنة.

ما أهمية التحركات الشعبية والمظاهرات التي حصلت رفضاً للعدوان على غزّة؟ وماذا عن موقف الأنظمة العربية في العدوان، هل تعتبرين أن التحركات الأخيرة كانت قادرة على الضغط على هذه الأنظمة؟

المقاومة تكون بشتى الأساليب والطرق، والتحركات الشعبية هي إحداها. ليست التظاهرات وسيلة للتعبير فحسب، إنما أداة للضغط على الأنظمةً ووسيلة المناهضة والرفض. إن الأنظمة التي تقمع التظاهرات ترى بأنها تشكّل خطراً عليها أو تهديداً لها لأنها تدرك مدى تأثيرها الكبير. من هنا ندرك أهمية المشاركة الواسعة في هذه التحركات إضافة إلى ضرورة استمراريّتها حتى بعد توقف الحرب، بأشكال أخرى مختلفة ربما، لكي نضمن فعالية ذلك الضغط.

رغم أن تأثير التحركات الأخيرة لجهة الضغط على الأنظمة العربيّة كان محدوداً، إلا أنه لا يمكننا أن نتجاهل الأثر الذي تركته هذه التحركات لدى الشعوب العربيّة، إذ أن دائرة المشاركة في التظاهرات قد توسّعت، حيث قامت تظاهرات في مدن عربية عديدة وبأعداد هائلة لم نرها منذ زمنٍ بعيد. كما أن معظم هذه التظاهرات جاءت عفويّة، ولم يتطلب الإعداد لها والدعوة إليها سوى ساعات قليلة. والأهم من ذلك أنها لم تحصل نتيجة لضغوط سياسيّة معيّنة، بل جاءت تلبية لنداء الشارع العربي. إن ما حصل أعاد القضية الفلسطينية إلى نبض الشارع ، كما وأعاد الإيمان بضرورة العمل المقاوم ضد الاحتلال.

ليس هناك ما ننتظره من هذه الأنظمة التي لطالما خذلت شعوبها. يجب أن يكون الاعتماد الأكبر على الشعوب أنفسها لأن السكوت في زمن الحروب تسليم وانصياع. ومن خلال هذه التحركات وتحركات أخرى مماثلة، سوف تدرك هذه الأنظمة أنه لا يمكن أن تقمع شعوبها للأبد وأن إرادة الشعوب لا بد وأن تتحقق.

ماذا كان شعورك ورأيك في التحركات العالمية التي حصلت؟ هل شعرت بأنك جزء من حركة عالمية؟ وكيف رأيت هذا الترابط؟

لم يعد باستطاعة إسرائيل إخفاء فظاعة ما تقوم به عن شعوب العالم، والتحركات التي قامت في شتى مدن العالم خير دليل على ذلك. فشعوب العالم أجمع خرجت لنصرة الشعب الفلسطيني. شعوب العالم أجمع وقفت في وجه المحتلّ والغاصب. لقد نشأت حركة مقاومة عالميّة إلى جانب مقاومة الشعب الفلسطيني تمثلت بالتظاهرات التي جابت شوارع العالم للضغط على الحكومات وبالدعوات القضائية التي بدأت عدة منظمات عالميّة التحضير لها من أجل محاسبة قادة إسرائيل. لقد أيقظت الحرب على غزة الضمير العالمي من جديد ودفعت بعض الدول إلى التفكير ثانيةً في الدعم الأعمى الذي تقدّمه لإسرائيل.

برأيك ما هي الخطوات المستقبلية التي يجب القيام بها؟

ومن الخطوات التي لها وقع كبير ليس فقط على المدى المنظور هي المقاطعة، لذلك يجب العمل على تفعيل حملة مقاطعة الشركات الداعمة لإسرائيل. كما أنه علينا أن نضغط على الحكومات من أجل قطع علاقاتها الاقتصادية والتجاريّة مع الشركات الداعمة للكيان الصهيوني بشكل رسمي. من ناحية أخرى، فإن حركة التضامن العالمية المعروفة ب ISM والتي تقوم بإرسال ناشطين إلى داخل الأراضي الفلسطينية من أجل دعم صمود الفلسطينيين، سيكون لها تمثيل قريباً في لبنان. ■

مصنع في الشارع

غسان مكارم

في القرن العشرين، ابتكر العمّال عشرات وسائل الاحتجاج والاعتراض في مسيراتهم النضالية. ففي ثلاثينات ذلك القرن، استلهمت نقابة عمّال العالم الأمميين IWW فكرة السيطرة على أماكن العمل من المجالس العمّالية (السوفييت) التي قامت خلال الثورة الروسية، والتي استوحتها الأخيرة من الثورة الفرنسية.

بعد محاولات عديدة، نجح عمّال صناعة السيّارات UAW في مدينة فلينت في ولاية ميشيغان، الولايات المتحدة، بالاعتصام داخل مصانعهم في ١٩٣٧ والسيطرة عليها دفاعاً عن لقمة عيشهم خلال الانهيار الاقتصادي الكبير، فتمكّنوا من إنقاذ وظائفهم.

في المقلب الآخر من العالم، كانت حركة التحرر التي قادها غاندي ضد الاستعمار الإنكليزي للهند تستخدم وسيلة مشابهة، لكن هذه المرّة لاحتلال مساحة عامّة أو شارع معيّن، لا للسيطرة عليه أو تشغيله بطريقة بديلة، بل لاستخدامه رمزياً للتعبير عن رغبة في المقاومة. وكانت هذه من الوسائل الأنجع التي طوّرتها لجنة التنسيق الطلاّبية اللاعنفية SNCC ثم تبنّتها حركة التحرر من الفصل العنصري في الولايات المتحدة في ستينات القرن الماضي.

وبالرغم من منع هذا النوع من الاعتصامات في مصانع الولايات المتحدة، فقد اختاره عمّال مصانع رينو وغيرها للسيارات في فرنسا، حيث احتلّوا مصانعهم تزامناً مع احتلال الطلاّب لجامعاتهم خلال ثورة ١٩٦٨. وشهدت سبعينات وثمانينات القرن الماضي مئات من الاعتصامات (أو الاحتلالات الطلاّبية) في جامعات الدول المتقدّمة، جوبه بعضها بالقمع والضرب، أو التصفية الجسدية لقادتها.

لكن هذه الحركة أخذت منحى جديداً في التسعينات، حيث بدأت مجموعات راديكالية في مدن رئيسية حول العالم، خاصّة في أوروبا، في اعتماد هذا الأسلوب كنمط عمل متأثّرين بحركة "واضعي اليد" squatters، حيث يقوم شباب باحتلال مبنى غير مستخدم استناداً على قوانين تسمح بهذا لمن ليس له مكان سكن، وأدّى نمو هذه الحركة إلى ردّة فعل من السلطات التي قامت بالتضييق على المساحات العامة تزامناً مع بدايات عصر الرقابة الجديد.

صعود حركات الاحتجاج حول العالم في بدايات هذا القرن، أعاد الحركة إلى أصولها. نسمع كلّنا عن قرقعة الطناجر في الأرجنتين، لكن الإعلام يصرّ على التعمية على أحد أهم التطورات في الحركة العمّالية في دول ينهشها اقتصاد السوق الحرّ. ففي السنوات الأخيرة، تحوّلت حركة الاحتجاجات على إغلاق المصانع في الأرجنتين إلى حركة العمّال للسيطرة عليها واحتلالها، مستفيدين من علاقاتهم مع الحركة الأوسع المناهضة للعولمة أو الحرب.

بعد الحرب الأهلية، وفي ظروف تهيّأت لليسار لاستعادة دوره في لبنان، استخدم ناشطون وناشطات وسائل متعددة للاحتجاج والاعتراض والمقاومة، ومنها الاعتصام المفتوح في الشارع الذي كان، مثلاً، من أهم وسائل "حملة الدفاع عن كوزو أوكاموتو ورفاقه" في نهايات الألفية.

ثم جاء حصار رام الله بعيد قمّة الخونة العرب في بيروت في ربيع ٢٠٠٢. خلال الحصار، قام مئات من اليساريين من جميع الاتجاهات بالاعتصام المفتوح قرب ساحة الشهداء لمدّة ٤٥ يوماً، انطلق منه عدد من المبادرات مثل مجلّة "اليساري" و"المركز الإعلامي المستقل – إنديميديا" وكان مكوّناً أساسياً في حملة مقاطعة البضائع الداعمة لإسرائيل، وشكّل انطلاقة جديدة لليسار، تُوّجت بحملة "لا للحرب – لا للديكتاتوريات" في ٢٠٠٣.

اليوم، في الولايات المتحدة التي تشهد انهياراً يقترب من انهيار ثلاثينات القرن العشرين، اكتملت الدائرة واستعاد عمّال شيكاغو هذا الجزء العريق من تاريخ الطبقة العاملة في بلدهم، وانتهى العام ٢٠٠٨ باعتصام ناجح لعمّال شركة "الجمهورية للشبابيك والأبواب" يبدو وأنّه سيشكّل منعطفاً في الحركة العمّالية، خاصّة عندما نسمع نائب عن الحزب الديمقراطي، "لويس غوتييرز"، يقول: "يبدو لي أن عمل العمّال هو الذي صنع هذه الشبابيك. إن إبداعاتهم وشغلهم والتزامهم بالجودة هو الذي جعل هذه الشركة ناجحة... ملكية هذه الشبابيك تعود للعمّال حتّى يحصلوا على أتعابهم". كما تشهد بريطانيا منذ شهر حركة اعتصامات مفتوحة في جامعاتها تضامناً مع غزّة واحتلالات لمراكز "بي. بي. سي." اعتراضاً على رفضها لبث نداء استغاثة من أجل غزّة.

لكن الاعتصام المفتوح، للاعتراض أو لحماية مكاسب ووظائف، ليس غاية بحد ذاته. وهذا هو الخطأ الذي وقع به شباب جماعة ١٤ آذار في اعتصامهم في ساحة الشهداء بعد اغتيال الحريري. ظنّوا أن تقليد شكل من الأشكال التقدّمية سيخفي حقيقة أن الفرق بين اعتصامهم وبين الوسيلة الأصلية هو الفرق بينهم وبين الحركات النضالية الحقيقية. تحوّل "مخيّم الحريّة" إلى ديكور لمسرح "ثورة الأرز" الذي يبث مباشرة على التلفزيون. وبدل أن يكون الاعتصام مكاناً للانطلاق نحو التغيير، صار ثكنة عسكرية يحرسها ميليشياويون سابقون أصبحوا مسؤولين أمنيين في أحزابهم ويديرها ميليشياويون سابقون يعملون في تلفزيوناتها.

الجماعة الأخرى وقعت في خطأ مشابه عندما اعتصمت في وسط بيروت لأشهر طويلة. المشكلة هنا ليست في الاعتصام، فحق الاعتراض يشمل الحق في التعطيل إذا كان في التعطيل مصلحة، لكنّ المشكلة كانت في تحوّل الاعتصام لمجرّد اعتصام وغياب عمل التعبئة والتضامن. وكما فعل اعتصام ١٤ آذار، تحوّل اعتصام "المعارضة" السابقة إلى مكان يتم فيه استيعاب (إقرأ: لجم) الجمهور المناصر، بدل أن يتحوّل إلى مساحة للتشارك.

في الأسابيع الماضية، تمكّن اليسار في لبنان من استعادة هذه الوسيلة بالرغم من تشويهها من قبل قوى التحالف الطائفي الحاكم بجناحيه. المهم اليوم هو أن نستفيد من التجربة ونطوّرها، ليس فقط لنعود إلى الإسكوا إذا عاد القصف على غزّة، بل للعودة بها إلى مدارسنا وجامعاتنا وأماكن عملنا لبناء حركة أوسع ومن أجل مستقبل أفضل. ■

نضالات عمالية لبنان

بعد الإضراب الناجح الذي نفّذته هيئة التنسيق النقابية في الثالث من شهر نيسان ٢٠٠٨، عادت الحركة النقابية والمطلبية لتملأ شوارع لبنان، مطالبةً برفع الحدّ الأدنى للأجور ومنددةً بالسياسات الاقتصادية الّتي أجهزت على نسبة كبيرة من العمال اللبنانيين، وقضمت أكثر من نصف قوتهم الشرائية، وفي السابع من أيار قامت المعارضة والموالاة كلّ على طريقته بقصم ظهر الحركة العمالية والمطلبية، ولكن إلى حين. ولقد شهدنا منذ أيلول الماضي صعوداً جديداً في الحركة المطلبية العمالية وإن تمثلت في تحركات الأساتذة فقط الذين شكّلوا رافعة التحركات النقابية المطلبية في لبنان.

الأساتذة يملأون الفراغ

هبة عباني

هيئة التنسيق النقابية

«جئتم من كل لبنان ولكل لبنان، رافعين علم وحدتكم الوطنية، وما هيئة التنسيق سوى صوت ضمير الفقراء ومعاناتهم من جراء الأزمة المعيشية الخانقة... أما القرار فلن يمرّ، ما دمنا في المعركة المفتوحة لصون الحقوق وهي خط أحمر».

الكلام لحنّا غريب، رئيس رابطة الأساتذة الثانويين (أنظر المقابلة معه في هذا القسم) في الاعتصام الذي نفّذته هيئة التنسيق النقابي في الثامن عشر من تشرين الثاني، وقد ترافق هذا الاعتصام الذي شارك فيه مئات الأساتذة، بإضراب شمل معظم مدارس وجامعات لبنان، حيث لازم أكثر من مليون تلميذ منازلهم.

وقد قامت الهيئة بتنفيذ الاعتصام والإضراب أمام المجلس النيابي للضغط على اللجان النيابية بغية إقرار المطالب المحقة للهيئة والمتمثلة برفع قيمة زيادة الرواتب والأجور بنسبة تتناسب مع نسبة التضخم واعتماد نسبة ٥٪ من أساس الراتب لزيادة قيمة الدرجات وبالتالي عدم تجميد سلم التدرّج، إضافةً إلى شمول الزيادة التعويض العائلي على أساس ٧٥٪ من الحدّ الأدنى للأجور لعائلة مكوّنة من خمسة أشخاص، ورفع أجر ساعة التعاقد للمتعاقدين بشكلٍ يتناسب مع نسب غلاء المعيشة.

وقد كانت الهيئة قد نفّذت قبل شهر من ذلك، في الثامن عشر من أيلول اعتصاماً أمام السراي الحكومية احتجاجاً على الزيادة الهزيلة والمقطوعة للأجور، مؤكّدةً على شمول الزيادة كامل الشطور.

وردّاً على التجاهل والإهمال بالتعاطي مع مطالب الهيئة من قبل اللجان النيابية نفّذت الهيئة اعتصاماً آخر في الرابع من كانون الأول مؤكدة على المطالب ذاتها، معلنةً الإضراب العام في السابع عشر من الشهر نفسه، يرافقه اعتصام أمام المجلس النيابي.

ولكن على الرغم من جميع هذه التحركات والاعتصامات، ضربت الحكومة وبعدها اللجان النيابية والمجلس النيابي تلك المطالب عرض الحائط. فقد قررت اللجان النيابية توجيه ضربة قاسية للمعلمين عبر إقرارها زيادة نسبة ٥٪ على الدرجة، وليس على أساس الراتب، أي ما يوازي دولاراً واحداً، ضاربةً بذلك مفهوم الدرجة التي تحسب كنسبة مئوية من أساس الراتب، الأمر الذي كرّسته القوانين ٩١/ و٩١/١٠٨. وما كان من المجلس النيابي بشقّيه المعارض والموالي إلا أن صدّق على تلك القرارات كما وردت من اللجان النيابية المشتركة، وأقرّ مشروع قانون آخر يقضي بتقسيط فروقات سلسلة الرتب والرواتب لأعوام ٩٦ و٩٧ و٩٨.

بناءً على هذا التجاهل، أعلنت الهيئة أن تلك القرارات لا تمثل سوى استكمال الهجمة التي شنتها الحكومة على حقوق المعلمين المكتسبة، مؤكّدةً على عدم شرعية هذه الزيادة وانتهاكها للقوانين، مستنكرةً عدم إقرار التعويض العائلي على أساس الحدّ الأدنى للأجور وعدم تحديد أجر ساعة التعاقد، فضلاً عن إبقاء تعرفة الطبابة والاستشفاء مجمدة، في الوقت الذي ارتفعت فيه تكاليفها الفعلية.

وفي السياق ذاته أكّدت الهيئة على تنفيذ الإضراب العام التصعيدي في السابع عشر من كانون الأول، لتعلن بعد ذلك تعليق الإضراب وتأجيله إلى الثاني والعشرين من كانون الثاني معتبرةً أنّ إقرار المفعول الرجعي هو إنجاز حققته الهيئة. لتعود وتعلن، في الخامس عشر من كانون الثاني ٢٠٠٩، عن تأجيل الإضراب إلى موعد يحدد لاحقاً "نظراً للظروف العصيبة التي تمرّ بها البلاد نتيجة العدوان الصهيوني الهمجي على قطاع غزة".

و لكن المعركة لم تنتهي فقد نفذت رابطة أساتذة التعليم الثانوي الرسمي إضراباً عاماً وشاملاً في جميع الثانويات الرسمية، واعتصاماً مركزياً يوم الأربعاء ٢٠٠٩/٢/١١ عند الحادية عشرة في السرايا الحكومية ، وذلك احتجاجاً على توقف المستشفيات عن استقبال المرضى والحالات الطارئة والعلاج الفيزيائي وغسيل الكلى للمنتسبين إلى تعاونية موظفي الدولة.

متعاقدو التعليم الرسمي الأساسي

لم تكن هيئة التنسيق النقابية وحيدة بتصدّيها للسياسات الجائرة بحقّ العمال فقد ارتفع صوت الأساتذة المتعاقدين في التعليم الأساسي الرسمي. فقد نفّذ ١٢ ألف أستاذاً، في السابع والعشرين من شهر تشرين الثاني إضراباً تحذيرياً، وعقدوا بالإضافة إلى ذلك، العديد من الجمعيات العمومية في المناطق لشرح مطالبهم وتنسيق تحركاتهم.

وقد تلا هذا الإضراب التحذيري إضراباً مفتوحاً، دعت إليه اللجنة العليا للمدرّسين المتعاقدين في مرحلة التعليم الرسمي. كما دعت إلى البدء باعتصام مفتوح أمام السراي الحكومي ومجلس النواب ابتداءً من الخامس عشر من كانون الأول ٢٠٠٨.

استمرّ الإضراب ثلاثة أيام، شلّ خلالها المدارس في بيروت والمناطق الأخرى، حيث تعتمد المدارس بشكلٍ كبير على الأساتذة المتعاقدين، الذين يمثلون ثلثي المدرسين مثلاً في منطقة الضنية، كما تعرّض المتعاقدون لضغوطات من مدراء بعض المدارس بهدف منعهم عن التوقّف عن العمل، وهُدّدوا بفسخ العقود معهم.

وقد تمثلت مطالب الأساتذة بزيادة بدل ساعة التعاقد بحيث لا تقل عن ٢٣٠٠٠ ليرة لحملة الإجازة الجامعية و١٨٠٠٠ ليرة لغير المجازين، بالإضافة إلى الحصول على كافّة الضمانات الاجتماعية وبدلات النقل وتنفيذ القانون ٤٤٢ القاضي بتعيينهم في ملاك وزارة التربية والتعليم العالي عبر إجراء مباراة خاصة بهم وتحديد موعد محدد لتلك المباراة.

وفي الثامن عشر من كانون الأول، أقرّ المجلس النيابي القانون ٤٤٢ القاضي بتثبيت المدرسين المتعاقدين عن طريق المباراة المحصورة بمن تعاقد قبل السنة الدراسية ٢٠٠٥- ٢٠٠٦. لينتهي بذلك الاعتصام المفتوح بنصف ربح ونصف خسارة. في حين كانت زيادة ساعة التعاقد هزيلة، إذ وعدوا بإعطائهم ١٤٠٠٠ ليرة لحملة الإجازات ، ولغير المجازين ١١٠٠٠ ليرة تُنفّذ بعد إقرار موازنة ٢٠٠٩.

وقد نفّذ الأساتذة اعتصاماً آخر في الحادي والعشرين من الشهر نفسه تضامناً مع زميلهم جابر جعفر الذي تعرض للضرب، خلال الاعتصام أمام وزارة التربية في الأونيسكو، من قبل قوى مكافحة الشغب. ■

مقابلة مع حنا غريب (رئيس رابطة أساتذة التعليم الثانوي)

ما هو موقف الرابطة من المطالب المحققة؟

ملف الرواتب والأجور لا يزال مفتوحا إلى الآن ولم ينته وما تحقق غير كاف مع إلغاء دولة الرعاية الاجتماعية. اليوم نشهد أزمة عالمية كبيرة تطال وسنشهد فيها سقوط النيوليبرالية التي بدأت مع تاتشر وريغان. ومن نتائج الأزمة سيكون تدخل الدولة، والتدخل يكون لصالح الفقراء وذوي الدخل المحدود. وهناك إعادة نظر لدور البنك الدولي وصندوق النقد الدولي اللذان ينظمان سيطرتهما على الأسواق والأسعار، بالإضافة إلى تحكمهما في اقتصاديات العالم.

هنا، ونتيجة ارتهان النظام للخارج، للأنظمة الرأسمالية المعولمة ، سنشهد مزيد من الهجمات. بداياتها، ملف الرواتب والأجور، باريس ٣ وإجراءاته ستتقدم أكثر. كان من المفترض لباريس ٣ أن يؤمن ١٦ مليار دولار، ما "أعطي" هو ٨ مليارات، من قبل الدول المانحة، على شكل قروض وديون والباقي سيؤمن عن طريق خصخصة، الماء والهاتف والبنى التحتية، وهذا يمكن أن يحصِّل لهم ٤ مليارات، أما الباقي فيكون عن طريق تخلي الدولة عن دورها على مستوى الرواتب والأجور والتقاعد وعلى مستوى التقديمات الصحية والاستشفائية.

اليوم، الأزمة العالمية ستنعكس ولكنها حاليا غير ظاهرة، وتأثيراتها بطبيعة الحال ستكون سلبية على اليد العاملة في الخارج، وهي مقدرة بـ٥٠٠ ألف عامل، بسبب الإفلاس والصرف الكيفي. سيأتون إلى هنا، ولبنان غير مؤهل لاستقبالهم وتشغيلهم، بالإضافة إلى خسائر ناتجة عن توقف مساهماتهم ولن يجدوا عملا. بالإضافة إلى المساعدات المالية التي تساهم بسد العجز. من هنا، هناك أسئلة على الدولة الإجابة عنها، وهي غير مؤهلة لفعل ذلك. فالمرحلة المقبلة ستشهد هجمات جديدة. ملف الرواتب والأجور والحقوق المكتسبة مفتوح، والمطلوب التحرك للحفاظ على الحقوق من خلال النضال.

لماذا تحركات الأساتذة، المتعاقدين والموظفين، منفصلة؟

لا يوجد انفصال، الشكل والجوهر نفسه. في موضوع التعاقد، نحن ضد التعاقد الوظيفي ومعركة تصفية التعاقد مستمرة. في التعليم الأساسي، يوجد ١٢٠٠٠ متعاقد دون ضمانات اجتماعية أو بدل نقل، ولكي يصل إلى المدرسة سيدفعها على الطريق. وهناك عائلات تعيش على هذه الأجور. والعامل يطلب استقرارا في عمله، أما هم فيمكن صرفهم. فالمطلوب إدخالهم من خلال مباراة شفافة، ولا يدخل إلى الملاك سوى الجدير بذلك. هكذا ننتهي من التعاقد، كما حصل في التعليم الثانوي حيث جرى إدخال ٤٥٠٠ أستاذ، ما يعني تأمين فرص عمل لعدد هائل من الناس، ومنعهم من الهجرة. والمعركة متواصلة لتعزيز الملاكين الأساسي والثانوي.

أقر مشروع إدخال المتعاقدين إلى الملاك، وسيقتصر ذلك على ٦ آلاف معلم من أصل ١٢ ألف، لذلك ستجرى المباراة بعد الانتخابات النيابية، لتخفيف الأضرار على المرشحين.

هناك خطة ثلاثية نعمل عليها: وقف بدعة التعاقد، واعتماد خطة بديلة، لدينا كلية التربية مهمتها الحالية إعداد معلمين للمدارس الخاصة. والدخول إلى التعليم يتم عن طريق البيوتات السياسية من خلال التعاقد، ومن ثم المباراة المحصورة، فيقدمون الطاعة للسياسيين.

المباراة المفتوحة هي البديل. هناك واقع وجود ١٢ ألف متعاقد نتيجة تجميد التوظيف، لذلك ستكون هذه المباراة آخر مباراة محصورة. ومن ثم ننتقل إلى المباراة المفتوحة السنوية التي تقوم على معايير مهنية وأكاديمية محترمة.

ما هو موقفك من تعاطي الوزيرة بهية الحريري مع الموضوع؟

السلطة مؤيدة لمشروع التعاقد الوظيفي، والمتعاقدون هم من ضحايا هذا المشروع. أما السلطة مجتمعة فهي المستفيد الأول من هذه السياسة. هناك

موقف من القضية وليس موقفا من شخص الوزيرة، والمسؤولية تشمل كل الوزراء الذين تعاقبوا على الوزارة من التسعينيات حتى اليوم.

أين أصبح موقف الرابطة من زيادة الأجور إلى ٩٦٠٠٠٠ ليرة؟

كما قلت، ملف الرواتب والأجور مفتوح، والمعركة مستمرة، وفيها جولات. الأولى كسر قرار تجميد الرواتب الأجور، ولو كان غير مقبولاً، وتم فرضه من قبل الدولة وكان من جانب واحد دون الاتفاق مع الروابط، فلم يلزمنا بشيء، فأكملنا تحركنا حيث الزودة هدمت من خلال تجميدها وعدم احتساب غلاء المعيشة وتابعنا التحرك.

الثانية، كسر حدود ٢٠٠ ألف ليرة، ولكن بنسبة ضئيلة جداً. فحمينا إلى حد ما الأساتذة الذين سيحالون على التقاعد خلال الفترة الحالية فسينالون مئة ألف إضافية وهي من صلب الراتب، وهي مهمة لأن تقاعدهم مضروب بـ٨٠ شهراً، وهذا سيجلب لهم الملايين.

استرجعنا الفروقات من سلسلة الرتب والرواتب وهي مجمدة من ١٢ سنة، وكان السنيورة يحاول تأجيل ذلك. في الجولة الثانية استحصلنا على ٢٠٠٠ مليون ليرة. بقيت مسألة التدرج، وهي مهمة لأنها تحتسب على أساس التقاعد وحسب القوة الشرائية والأجور. وهي تعطى بشكل آلي بحسب الخبرة والأفضلية والخدمة. وهم يجمدونها من خلال احتسابها على أساس الدرجة وليس على أساس الراتب، فتضحي شبه مجمدة ومن سيخسر هم الجدد، وكلما كبر ستكون الخسارة أكبر.

ما هي آلية المتابعة الجديدة؟ وما هي الخطوات المناسبة لذلك؟

نحن نملأ فراغا تركه الاتحاد العمالي العام، فالدور الأساسي هو للاتحاد، ولكن نحن من المعنيين. القطاع العام يتعرض لهجمات. ونحن من خلال تحركنا حمينا الموظف في القطاع الخاص، وحققنا بعض من مطالبه. التحرك ضمن القطاع العام محمي، ولكن في القطاع الخاص هناك سيف مسلط هو الصرف من العمل وذلك عملية جد سهلة. فالموظف في القطاع العام بسبب ديمومة عمله وعد تمكنهم من تطبيق التعاقد الوظيفي، تعطيه حرية الحركة.

لا أبرر للاتحاد العجز الذي وقع فيه. كان من المفترض به أن يتحرك ويتمسك ب ٩٦٠ ألف. ولكن كان هناك فراغا، فتحركنا للحفاظ على حقوقنا. نحن طرف وعليهم التفاوض معنا ولا يحق لهم فرض علينا ما لا نوافق عليه.

ما الخلفية التي انتخبت على أساسها؟ فأنت يساري وجزء من اللائحة من المعارضة السابقة؟

نحن في الرابطة لدينا تاريخ عريق يعود إلى السبعينيات. الجسم التعليمي في الثانوي أتى من الحركة الطلابية الناشطة في تلك الفترة، هذا الجزء من المعلمين يتناقص بفعل التقاعد، لكن له معايير لاختيار المندوبين، حيث الغلبة للخيار النقابي بمواجهة الخيار الطائفي، فنحن نعمل على موروث. هناك جانب آخر، يتعلق بأداء الرابطة، حيث كانت على رأس حربة لمواجهة السلطة، من ١٠ أيار وإسقاط مشروع التعاقد الوظيفي، وتعزيز الملاك الوظيفي من خلال المباراة المفتوحة حيث واجهت كل البيوتات السياسية بالإضافة إلى معركة الرواتب والأجور، كل ذلك شكل نوع من المصداقية من ناحية التزام مطالب الناس.

هناك قلق وخوف من قبل الأساتذة، ما جعلهم يتنبهون إلى الأفخاخ المنصوبة لمستقبلهم الوظيفي. والطرح كان توزيعا على الشكل التالي: ٤-٤-١٠. أضف إلى أن الانتخابات كان تجري خلال حراك نقابي ومطلبي يسود في البلد وبدفع من الرابطة، فلو كان الجو مختلفاً، جواً طائفياً مثلاً، لاختلفت الأمور.

كما نجحنا في كشف أطراف السلطة أمام جمهورهم، حيث أعطت السلطة زيادة هزيلة، وزادت ٥٪ من الدرجة وليس على أساس الراتب كزيادة على الدرجة، والمعرضة بصمت على ذلك. كان الجواب، قَدِّموا حلولاً للمشاكل المطروحة وخذوا كل الرابطة. والهدف خلق خلافات بين الزعامات ومؤيديهم، حيث المعاناة شاملة وموجودة عند كل الطوائف. مشوا في الإضراب والاعتصام الأول، لكنهم عادوا وانكفأوا في مراحل لاحقة. فطالبوا بالنسبية، أي الحصول على ٨ مقاعد من أصل ١٨، كان الرد بأنكم تعترفون باستقلالية الرابطة ونشاطاتها الفعالة، فالأحزاب تدعم النقابيين ولا تحل مكانهم. إذا خذوا ٤ للمعارضة السابقة و ٤ للموالاة و١٠ للمستقلين واليساريين الذين حافظوا على فعالية الرابطة، فلماذا معاقبة هذه الرابطة، وعملها؟

ما هو تأثير انتخابات الرابطة على مستقبل التحركات؟

المعركة مستمرة، هناك خمسة فروع الرابطة، القرار المركزي محمي، والمطلوب نيل ٣ فروع من خمسة للمحافظة على الوضعية السابقة للرابطة. عليهم أن يعارضوا والالتزام بوحدة الرابطة وعدم تقسيمها وشرذمتها، وأن يحترموا قرارات الرابطة، وإذا فعلوا العكس يكون قرارهم تفتيتي لضرب النقابات وتمرير الاستحقاقات المصيرية على الأساتذة. فإذا لعبوا دور حصان طروادة للسلطة، يصبح هناك مشكلة كبيرة ويصبح من الضروري كشفهم.

ما تأثير انتخابات الرابطة على مستقبل هيئة التنسيق النقابية؟

لا مشكلة على مستقبل هيئة التنسيق. هناك ٥ روابط داخل هيئة التنسيق، والمحافظة على الهيئة واستقلاليتها والثبات على الموقف أمر ضروري. التنسيق يكون على الأمور المجمع عليها، وتترك الحرية لكل رابطة ضمن خصوصيتها ومطالبها. هيئة التنسيق ليست اتحاداً، في الاتحاد هناك قرار مركزي أما في الهيئة هناك إجماع على قضايا مشتركة.

الهجوم الذي تشنه السلطة على حقوق المعلمين، سيدفع الروابط إلى الدفاع عن نفسها من خلال خطة مشتركة. كل رابطة لديها خطة عمل، ويتفاوت سيرها في المواجهة. من يستمر في المعركة نحن معه، ومن يتخلى عن المعركة، سيقوم بذلك بمفرده، ونحن نكمل المعركة من دونه.

ماذا بعد العدوان الإسرائيلي على غزة؟

ما يحصل هو نوع من تصفية لمواقع الممانعة المواجهة لأميركا وإسرائيل بالتواطؤ من الأنظمة الرجعية وبتغطية منها. لا بد من إدانة المجازر التي تحصل، في ظل صمت الأنظمة العربية. أما المواجهة وحركة الاحتجاج الشعبي على المستوى العربي والدولي تبقى على أهميتها دون المستوى المطلوب. وبعد أن صمدت المقاومة في وجه العدوان وأفشلت أهدافه فيمكن القول بأنها انتصرت بصمودها وتضحيات شعبها، وتمكنت بالتالي تمكنت من تعزيز خيار المقاومة.

أهل غزة يواجهون وحدهم الهجمة البربرية. هناك مرحلة جديدة في الشرق الأوسط. ستنهار أمور كثيرة على الصعيد الفلسطيني والعربي بشكل عام، حيث كُشف تواطؤ الكثير من الأنظمة العربية وخيانتها. وبالتالي فإن العدو الإسرائيلي لن يسكت ويتحضر لجولة جديدة من الحرب، وقد بدأها بتعزيز الحصار وتدويله. من هنا، نحن قادمون على حرب جديدة في المنطقة.

يشتهر النظام السوري في ترداده عبارة تحديد زمان ومكان المعركة، ولم نعرف متى وأين يتم تحديد ذلك، فما هو موقفك من هذه القضية؟

من حقهم أن يحددوا مكان وزمان المعركة. ولكن إذا جرى القضاء على القضية الفلسطينية ماذا ستفعل حينها؟ ستكمل الهجمة عليهم، وتفرض شروطاً جديدة. بالنتيجة ستكشف الأنظمة العربية أمام شعوبها. وإذا دفع الشعب الفلسطيني الثمن، سيدفع النظام السوري الثمن، وبالتالي سيخسر مصداقيته.

ما موقفك من التحركات في لبنان وعلى صعيد المنطقة والعالم؟

ليست على أحسن حال. نحن ندفع فاتورة ضعف اليسار وضعف الحركات العلمانية والشعبية والنقابية. بشكل عام المطلوب من هذه القوى أن تعيد تنظيم صفوفها وفق برنامج موحد للتحرير والتحرر من القمع وإرهاب الأنظمة ومن التخلف والتبعية. لا يمكن للشعوب العربية أن تنهض من جديد دون هذه التيارات. التيارات القومية والإسلامية لا تملك مشروعا جذريا للمواجهة وبعضها مأزوم بحكم طبيعتها المذهبية، لكنها محاصرة بحكم فئويتها، وهذا ما يخدم للمشروع الأميركي- الإسرائيلي التفتيتي للمنطقة. إذا هي بشكل موضوعي تخدم هذا المشروع ولا تستطيع الخروج من ذلك. الصراع الشيعي- السني يدور داخل الحقل الأميركي ومشروعه الذي يستفيد من ذلك. في بيروت، لا يوجد أية مظاهرة، باستثناء تجمعات تقوم بها اليسار. هناك عاصمة عربية لم تتضامن مع غزة. هذا، ما هو سببه؟ تخوّف من احتكاك سني شيعي، والخلاصة مأزق. فتقام تجمعات في ملعب الراية ولا تخرج من هناك. المطلوب عقد لقاء موسع يتوحد فيه الجميع للتضامن مع غزّة، وباسم الجميع وإفساح المجال أمام الناس للتعبير عن رأيهم. ■

أصغر مجرمي الأرض

استقبلت موسوعة غينيس للأرقام القياسية دفعةً جديدةً من الأرقام المميّزة، حيث وجد في غزة في فلسطين مئات المجرمين المتمرّسين الذين لم يبلغوا العشر سنوات. وهذه بعض الحالات القليلة أمام ما وجد:

الاسم	العمر	التهمة	الحكم
زينب	٨ سنوات	الجلوس في المنزل	إعدام/نُفِّذ
علي	٧ سنوات	اللعب في الشارع	إعدام/نُفِّذ
هالة	٤ سنوات	الذهاب إلى الفرن	إعدام/نُفِّذ
زهراء	٦ سنوات	عدم القدرة على الهروب	إعدام/نُفِّذ
حسن	٨ سنوات	عدم صموده تحت الأنقاض	إعدام/نُفِّذ
كريم	٥ سنوات	اختباء في المدرسة	إعدام/نُفِّذ
سارة	٩ سنوات	نومها في غرفتها	إعدام/نُفِّذ
عبّاس	٦ سنوات	مشي في الشارع	إعدام/نُفِّذ
علياء	٥ سنوات	لم تجد طعاماً	الموت جوعاً
هديل	٣ سنوات	لم تستطع الابتعاد من أمام الدبابة	إعدام/نُفِّذ

هؤلاء عشرة أطفال من مجرمي غزّة حسب مراجع العدو الإسرائيلي والشقيق العربي والقريب والمجتمع الدولي، وغيرهم الكثير ممّن تمّ إعدامهم فوراً ودون محاكمة من قبل آلة الحرب الصهيونية، بتهمة وجودهم في غزّة أثناء العدوان، أو جلوسهم في المنزل، أو عدم قدرتهم على الهرب، أو بسبب اختبائهم في المدارس، أو عدم قدرة المستشفيات على استيعابهم، أو عدم فتح المعابر أمامهم أو...

تهمٌ كثيرة يتذرّع بها الإسرائيلي لإعدام الأطفال، ويبقى لكم أن تحكموا إذا كانت المحاكمة عادلة أم لا. يبقى لكم أن تحكموا إذا كانت تهمة "غزّاوي" جريمة كافية لنيل حكم إعدام بتفنّن، أو التسبب بإعاقة دائمة...

ولكن أذكروا شيئاً واحداً قبل إصدار الحكم: إنّهم أطفال كأطفالنا، أعمارهم من أعمار إخواننا الصغار. فبأيّ ألمٍ ستشعرون لو أعدم أخاكم الصغير بتهمة "الانتماء للوطن"؟؟

أجل، نستطيع أن نفعل أكثر من إدخال أسمائهم في موسوعة غينيس...

ملاحظة: لم نتكلم إلا عن الأطفال.

Tamouh

٢٩ كانون الثاني ٢٠٠٩
مظاهرات كبرى ضدّ ساركوزي

بنجامين لورمي، عضو في الحزب الجديد المناهض للرأسمالية وفي منظمة "ماركسيون موحّدون" يكتب للمنشور عن صعود حركة الاحتجاجات في فرنسا.

تجربة ناجحة

في ٢٠٠٩/١/٢٩، شارك مليونا عامل فرنسي في يوم الإضراب والتظاهر في كلّ فرنسا، بدعوة من الاتحادات العماليّة. بحسب عدّة وسائل إعلاميّة، كان يوماً استثنائياً، والأهمّ منذ عشرين عاماً. وبحسب المتظاهرين، فإنّ هذا الإضراب يذكرهم بالتحركات ضدّ الـCPE (عقد التوظيف الأوّل) التي جرت خلال العام ٢٠٠٦.

بحسب الإحصاءات، يؤيد ٧٠٪ من الفرنسيين الإضراب والمظاهرات خلال هذا اليوم. كما إنّ نيقولا ساركوزي أخذ على محمل الجدّ هذه التحركات داخل المؤسسات. الفرنسيون، بدورهم، يتابعون مسار التحركات في اليونان وإيطاليا الرافضة دفع الثمن أزمة الرأسمالية.

خلال انعقاد القمة الإقتصادية في سويسرا، صرّحت كريستين لاغارد: "الوضع الحالي يستجلب خطرين: احتجاجات اجتماعية والحمائية". الحكومة المحافظة ترغب في الذهاب بعيداً في أكل حقوق العمال التي ربحوها خلال السنوات الخمسين الماضية. كذلك، هناك مشروع قانون يُناقش في المجلس النيابي الفرنسي من أجل "منع اعتداء الإضراب ووقف أضراره"، يمنع الإضرابات الكبيرة والعامة. أعلنت وزيرة الإقتصاد هناك بأن المسألة تعتمد على "سباق مع الوقت".

إضرابات في كلّ مكان

بعد أن حاولت الاتحادات النقابية دفع الصراع ضد الحكومة إلى الأمام، أغرقت تحت عبء الإضرابات التي شملت كلّ فرنسا.

من أجل الوظيفة

منذ خريف ٢٠٠٨، استفاد العديد من الشركات من الأزمة من أجل نقل مصانعها إلى دول أخرى أو أعادت هيكلة الشركات، في وقت كانت أرباحهم لا تكفّ عن الازدياد. "كلّ قطاع صناعة السيارات والفولاذ قد أصيب". مناطق بأكملها أصيبت بالبطالة، وهي تعاني من تراجع في فرص العمل. وخاصة في شمالي شرقي فرنسا.

من أجل تحسين ظروف العمل

كلّ الأجراء في فرنسا يتخوّفون من انعكاسات، سياسات الطبقة الحاكمة والأزمة. خلال ثلاثة أشهر، أضرب عمال سكك الحديد في شمالي غربي فرنسا، محطة سان لازار، من أجل إعادة تحسين ظروف عملهم وحصلوا بالنتيجة على ثمانين وظيفة جديدة.

أعلن برنارد تيبولت، رئيس الاتحاد العمالي العام، الهيئة الرئيسية ضمن الاتحادات العمالية في فرنسا: "كلّ النقابات في ٢٩ كانون الثاني تطالب بسحب مشروع القانون لإلزام الأجراء العمل نهار الأحد، بالإضافة إلى القوانين التي تمسّ حقوق العمال". وأضاف: "إنّ الحكومة بسياساتها هذه تخلق عدم رضىً عن تراجع القدرة الشرائية وعن السياسات الظالمة المُطبّقة في مجال الوظائف في القطاع الخاص والمطرودين منه، أظنّ أنّ كلّ ذلك يشكّل مكوّنات إضافية من أجل انفجار اجتماعي حقيقي".

من أجل الخدمات العامة

الإضرابات في المستشفيات تزداد ضد القوانين التي تهدف إلى خصخصة القطاع الصحّي. كذلك يُضرب المعلمون وأساتذة الجامعة منذ أسبوع ضدّ تدمير القطاع التعليمي الرسمي وضدّ تدمير مكانتهم كمعلمين. عمال القطاع الكهربائي يناضلون ضدّ تقليص الوظائف، وهم أعلنوا في صحيفة الحزب الشيوعي الفرنسي "لو مانيتيه" عن طلبهم بضرورة ١٨٠٠ وظيفة من أجل ضمان خدمة توزيع الطاقة في فرنسا.

من أجل القدرة الشرائية

لاحظ عمال فرنسا، بالعمق، ذوبان أجورهم مع التضخم الكبير بنسبة ١٢٪ خلال ٨ سنوات. بلغت البطالة أكثر من ٨ ٪، ونتائج الأزمة على الوظائف ليست معروفة بعد. لا يودّ العمال أن يدفعوا الثمن. ومظاهرة ٢٩ كانون الثاني كانت فرصة لتأكيد أنّ العمال إذا لم يظهروا على التلفاز، فبإمكانهم أن يظهروا بشكلٍ جماعي.

نحو إضراب مفتوح في كل القطاعات

لإضراب ٢٩ كانون الثاني الشامل لكلّ القطاعات العمالية والمهنية، رائحة أيار ٦٨. والمسألة المتداولة على كلّ الألسن هي أيّ قطاع سيطلق المواجهات الحاسمة مع ساركوزي. ابتداءً من ٢ شباط، تبدأ الجامعات إضراباً مفتوحاً ويمكنها أن تطلق شرارة النار من أجل إضراب مفتوح ويشمل كلّ القطاعات. ألهمت الحركة الطلابية في المدارس طلاب الجامعات، حيث سيبدأون إضراباتهم في عشرات الكليات. ومن الممكن أن تنتقل "الشرارة في البارود" ويجرّ بالتالي إضرابات شاملة.

سياسة بديلة ضد الرأسمالية

من الممكن أن يواجه الإضراب السياسي ضد ساركوزي عدّة عقبات. الحركة ضدّ قانون عقد الوظيفة الأولى أظهر أنّه في التحركات الشاملة لكلّ القطاعات، فإنّ الأجهزة النقابية التابعة للحزب الإشتراكي الذي يحافظ على جذور مهمة ضمن صفوف الطبقة العاملة، بإمكانه أن ينجح في وضع حدّ للصراع، دون أن يلتزم بصراع مباشر مع النظام. في تلك الحقبة، وفي ظلّ غياب يسار راديكالي كبير، نجحت هذه الآلية بإرغام العمال على وقف التحركات. في السياق الحالي، إنّ تواجد حركة جماهيرية ضد الرأسمالية في كلّ أنحاء البلاد هو ضرورة لمنافسة الليبراليين والآراء المحافظة عند الطبقة العاملة.

أعطت الإحصاءات الحزب الجديد المناهض للرأسمالية بزعامة أوليفيه بوزانسونو، نسبة ١٠٪ للانتخابات الأوروبية. مجموع القوى المعارضة للدستور الأوروبي أعطيت ١٤,٥٪. فإذا انطلقت حركة جماهيرية خلال الأسابيع القليلة المقبلة، فإنّ فرص توسع هذا الحزب هي كبيرة جداً. وفي إطار مواجهة ساركوزي، فإن التفاعل السياسي، سيُنتج جماهير عريضة مؤيدة للأفكار الثورية داخل الحزب المناهض للرأسمالية، وداخل الجمعيات العمومية للنقابات... ■

خاطرة من مظاهرة باريس

حلم عام...

نبيل عبدو

٢٩ كانون الثاني ٢٠٠٩ لم يكن عادياً في باريس، كان إضراباً عامّاً!

نزلت إلى محطة المترو لأصل إلى مكان التجمع لتبدأ المظاهرة. أقرأ في كل مكان: "سير القطارات سيكون متقطّعاً ومضطرباً بسبب الحركة الإجتماعية"! لم يكن إضراباً فحسب بل حركة اجتماعية أيضاً...

وصلت إلى ساحة الباستيل حيث التجمّع فتراءى لي بحرٌ من الألوان وفضاء من الموسيقى وجماهير تقفز، تغنّي وتضحك. لو لم أكن أعلم بالمظاهرة والإضراب لقلت إنّه مهرجان أو حفل ضخم يريد الفرنسيون عبره خلق عُذرٍ للخروج من كآبتهم المزمنة! لكن لا، كانت هذه المظاهرة، التي صارت احتفالية، نضالاً...

سرت في الموكب الهائل أصرخ وأغنّي ضد سياسات ساركوزي المجحفة التي تريد أن تمحو كل مكاسب النضالات العمالية التي بدأت منذ حوالي قرن. يريد أن يلغي القطاع العام والخدمات التي يقدمها من تعليم مجانيٍّ وتقاعد واستشفاء. فيحمّل المواطنين عبء الأزمة المالية العالميّة ويضخّ الأموال في المصارف التي هي أصل الأزمة فتكون الحكومة الفرنسية، كمعظم حكومات الدول الصناعية، إشتراكية مع الأغنياء ورأسمالية مع الفقراء.

وأنا تائهٌ بين المتظاهرين أجد نفسي أمام فرقة موسيقية تعزف ألحانًا عذبةً بطبولها التي تقرع رفضاً للإستسلام أمام قمع هذا النظام. أتفحّص وجوه الناس الفرحة والضاحكة فيوزعون الماء والكحول والإبتسامات لبعضهم...إنها حقّاً احتفالية! أسير مع الفرقة رقصًا وتمايلاً بين الألوان القوس قزحية التي تملأ شوارع باريس. أرى أناساً يلوّنون وجوههم، آخرون متنكرون، وطلاب مدارس عمرهم لا يتعدى ال١٣ يوزّعون بيانات ويهتفون دفاعاً عن مدارسهم الرسمية وعن أساتذتهم المهدّدين بفقدانٍ عملهم.

هناك، أرى أولئك الذين يدافعون عن بيوتهم وعن رفاقهم النائمين في الشوارع صارخين بأن المأوى حقٌ لا يساوم عليه! أمّا الجميع فكانوا يصرخون: كلّنا موحدون! عمال القطاع العام والخاص، طلاب، مشردون، عاطلون عن العمل، إلخ. كانوا كلّهم صوتًا واحدًا، لحنًا واحدًا ورقصةً واحدةً يطالبون بالعدالة الإجتماعية، يدافعون عن أعمالهم من الطرد التعسفيّ، عن حقّهم في التقاعد اللائق والتعلّم والمأوى والعيش في كرامة! يُسمعون رسالتهم: الإنسان أهمّ من رأس المال! هذا لم يكن إضرابًا عامًّا فحسب بل كان حلماً عامّاً... هذا الحلم الذي بدأ في اليونان وإيطاليا وإسبانيا فوصل إلى باريس!

خلال سيري رحت أتساءل، متى سيجتاح هذا الحلم لبنان؟ فالأوضاع الإجتماعية والإقتصادية ليست جدًا مختلفة، بل هي أسوأ! الحكومات المتعاقبة تسمح لنفسها بانتهاك كلّ الحقوق بحجة جذب الاستثمارات. فيَعدون بالجنّة شرط أن يُسلَخ جلد الطبقة العاملة. في وقت الإنتظار: فالشاطىء والبحر ملك خاص، التعليم الرسمي والمجاني يتعرّض



لعملية تصفية مبرمجة لصالح التعليم الخاص المسموح لفئة معيّنة من الناس، القطاعات الرسمية تسير نحو مقصلة الخصخصة فتُفقَد بذلك آخر وسيلة لتكون القرارات الإقتصادية نابعة من عملية ديموقراطية. الحدّ الأدنى للأجور لا يكفي لتأمين الحدّ الأدنى من الحياة اللائقة. العمال مهدورة حقوقهم وخاصة الأجانب منهم. مناطق بكاملها مهمشة إقتصاديًا. عمليّة استعباد مقنّعة تجري بحقّ العاملات المنزليات الأجنبيات من سرلنكييات وأثيوبيات وغيرهنّ. تفقير وتهميش وعنصرية مبرمجة ضد اللاجئين الفلسطينيين، بالإضافة إلى عملية تدمير منظّمة للبيئة. هذه بعض من أشكال القمع الجمّة التي يُخضَع لها بحجة السياحة والإستثمار والنمو الإقتصادي. فلماذا لا تتشكّل حركة وديناميةٍ وطنية للمواجهة؟ فالأكثرية الساحقة من المجتمع اللبناني تعاني من هذه الحالة.

اليوم، كنت فرنسيًا أسير بين مئات الألوف من الفرنسيين! نعم لم أكن لبنانياً بل أصبحت مواطناً فرنسياً أعلن رفضي للأمر الواقع، غداً سأكون يونانيًا، إيطاليًا، فلسطينيًا، سوريًا، لبنانيًا وإلخ. لأن الجنسية أصبحت فارغة من المعنى والمضمون، لأن الطاغوت واحد في كلّ هذا العالم. لأن النظام الإقتصادي العالمي هو الذي يقمع والأنظمة الوطنية هي فقط أداة لتنفيذ القمع والإرهاب. نظامٌ وظّف نفسه لدعم الاستعمار في فلسطين، لهدر حقوق الناس المُكتَسبة في كلّ أرجاء العالم. نظامٌ يريد أن يوظّف الإنسان خدمةً لرأس المال. نظامٌ يخلق حروبًا دموية ويبتكر خلافات بين الناس ليعميهم عن حقيقة تقول: إنّ النضال واحد ومشترك بينَ كل شعوب العالم.

لكن عندما يصبح الإضراب العام والنضال حلماً عاماً فسيستحيل قتلهما. ففي ضوء كلّ هذا عليك أن تختار هل تكون جزءاً من الحلم أم جزءاً ممّن سيدمره؟ هل ستحارب الجزمة التي تدوس على حقوق الناس أم ستلبسها لتضيّق الخناق على الرقاب؟ فلا مكان للحياد واللاقرار.

إنّ موجة الرفض عارمة وستكبر، والغضب الذي تحول في باريس إلى احتفالية وإبداع سيتحوّل يومًا ما إلى عنف ممنهج ومنظّم. لأنه سيتمّ استعادة الشوارع التي سُلبت من الناس وتحوّلت إلى مطاعم ومراكز تجارية يحوم الجميع حولها ويدفعون لتنشّق رائحة الطعام ورؤية ملابس العيد. ولأنّ الطبقة العاملة ستستعيد الشاطىء والبحر اللذان حُوّلا باطوناً بشعاً وملكاً خاصاً...

فماذا تختار؟ هل ستكون رفيقًا أم...؟ ■

غضب يجتاح مالمو

مالمو، محمد قدورة (٢٠٠٩/١/١٠) - الغضب في الشارع السويدي يتعاظم - في مالمو كما في كل مدينة وفي كل قرية على امتداد البلاد - يوماً بعد يوم، كلّما استمرّ العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة الّتي أسقطت بيد القيادة السياسية والعسكرية الاسرائيلية وخيّبت آمالهم وأفشلت مخططاتهم القائمة على مزيد من سفك دم أطفال ونساء وشيوخ الفلسطينيين الذين لا ذنب لهم، سوى أنّهم ينتمون إلى وطن يقع تحت نير استعمار استيطاني، وبأنهم لا مفرّ لهم من الموت المحتوم على اعتبار أن الحصار البري، البحري والجوي الذي يفرضه عليهم الاحتلال، والأنكى من ذلك، الأخوة الاشقاء.

منذ صبيحة يوم السبت ٢٠٠٩/١/١٠ انتشرت عدّة مجموعات من المناصرين للقضية الفلسطينية في الأماكن المزدحمة عادةً خلال أيام العطل وهم يرفعون العلم الفلسطيني ويافطة ملطّخة بالدماء وقد كتب عليها غزة، ويعلنون عبر الميكرفون اليدويّ عن موعد مسيرة الغضب هذا اليوم، ثم يُلقي بعضهم نفسه على الارض، يمثّلون الموت الذي يحصد أرواح المدنيين العُزَّل من السلاح، ثم يقومون بتوزيع المنشورات الداعية إلى مقاطعة البضائع الإسرائيلية، والجماهير السويدية إلى الضغط على حكومتهم لفرض قطع علاقاتها الإقتصادية والعسكرية والسياسية مع إسرائيل، ومن أجل أن يقوم الاتحاد الأوروبي بتجاوز سياسة الممالأة التي يمارسها للسياسة الاميركية والاسرائيلية. وبالتالي وضع كلّ ثقل اوروبا لفرض وقف العدوان على غزة فوراً. وهكذا جابت هذه المجموعات كل أنحاء مدينة مالمو وانتهى المطاف بهذه المجموعات في ساحة غوستاف أدولف ليكوّنوا نواة التجمّع لمسيرة الغضب.

عائلات بكلّ أفرادها، أطفالاً، شباباً، نساء، ورجالاً يحملون العلم الفلسطيني وهم يلتحفون بالشال أو الكوفية الفلسطينية. مجموعات أخرى ترفع العلم اللبناني وأخرى ترفع العلم العراقي. وها هي الاحزاب السويدية والمنظمات الاجتماعية تطل على الساحة زرافات ووحدانا. ولم تتخلف الجالية التركية عن هذا التجمع، كما كان في مقدمة الحضور سيل من أحفاد وأبناء وأخوة الليندي وابناء القارة التى قدّمت للعالم نماذج فذة رمزاً للشهامة والرجولة أمثال فيدل كاسترو وأخيرا هوغو شافيز الذي طرد السفير الاسرائيلي من كراكاس وطالب بضرورة محاكمة القيادة الاسرائيلية كمجرمي حرب.

وازدحمت الساحة بروّادها وعلت البيارق والحناجر بهتافات حانقة على جرائم العدو الصهيوني، وتنوّع التعبير عن هذا الغضب، فمنهم من حمل صورة طفل أُطفئ نور نهاره بقذيفة أو صاروخ طائرة حربية، وآخر جمع صوراً عن الأعمال الوحشية ووضعها في إطار غطّى به صدره وظهره، فغدا صحيفة متنقلة. هكذا كانت أشكال التعبير متنوعة جداً.

وبعد أن شارك شاب إيراني بالغناء لفلسطين بدأ الخطباء، ألقت عضوة البرلمان السويدي عن حزب اليسار كلمة ثم تلاها عضو البرلمان ممثل حزب العمال (الاشتراكي الديمقراطي)، حيث أدانا العدوان وطالبا بإيقافه فوراً ومن الاتحاد الأوروبي ضرورة اتخاذ موقف جدي مما جرى بعيداً عن التبعية للموقف الامريكي والنفاق للموقف الإسرائيلي. معلنان حقّ الشعب الفلسطيني بالتحرر والاستقلال.

اخترقت المسيرة شوارع المدينة بهتافات جماعية موحدة ونظام أخّاذ. وصلت إلى ساحة موليفونغ التي ضاقت بالغاضبين ففاضوا ليملأوا الشوارع المحيطة بها. ألقيت بقية الخطابات حيث اختتمت بكلمة لجنة التضامن التي توحد الجمعيات العربية والاسلامية والاحزاب والقوى السويدية. كما قامت لجنة النظام بجمع التبرعات لغزّة الصامدة. وهكذا فإن النشاطات ووحدة الموقف مستمرة. ■

على هدي البصيرة

وفيق ١٥/٧/٢٠٠٦

الآن ليلٌ
سأكتب على هدي البصيرة
لحظةً
أو دمعةً ليست من مفردات
الحاضر،
أو من معجنات السوق السريع.
الآن ليل
سأكتب على هدي الفجيعة
والدمعة لا تسير
إلى الأعلى،
بل لا تسير.
الآن ليل
سأكتب على هدي المفاجأة
والدمعة تسقط إلى الداخل.
الآن ليل
سأكتب خارج الحدّ
خارج الإطار المضطرب،
صورةً. وإطاراً لصورة،
يفرُغ من نفسه.
الآن ليل
سأكتب على هدي الهذيان
المنقطع. ■

أتــاك - لبنان
lubnan.attac.org

خصخصة المرافق العامة: بأي حق؟

مريم غريب

المواطنون اللبنانيون هم من يملك المرافق العامة، لقد دفعوا ثمن أصولها ومقدراتها عن طريق دفعهم الضرائب والفواتير. فبأي حق، وباسم من، ولفائدة من، سيُجرى اغتصاب هذه الحقوق وبيعها للذي سيدفع أكثر؟

خصخصة مرفق عام؟

تشكّل خصخصة الموارد الطبيعية والمرافق العامة رافعة السياسات النيوليبرالية. فهي تصرّ على النقل - السهل والنقي - لمراقبة وإدارة المرافق العامة من يد الدولة إلى فائدة المؤسسات الخاصة. فالمرفق العام يسعى بشكل أساسي إلى الصالح العام. أما "المزارع" الخاصة لا تسعى إلا إلى تحقيق أرباحها وزيادة مردوديتها بغض النظر عن حقوق الإنسان ونوعية الحياة المطلوبة.

الخصخصة، تعني تنازل الدولة عن واجباتها ومسؤولياتها، بداية عبر تخفيض مساعداتها لهذ المرفق، ولاحقا عبر تخفيض مستوى المراقبة. فمن الواضح: "أن تصبح عندها المؤسسات غير مجدية ومدانة بسبب إدارتها السيئة.... في ظل هذه الظروف يصبح مبررا تغيير نظام الملكية إلى مسار أفضل".(١)

العولمة، المؤسسات المالية والخصخصة المفروضة

صندوق النقد الدولي - الذي وصفه جوزف ستيغليتز الحائز على جائزة نوبل للإقتصاد ونائب مدير سابق للبنك الدولي "بالبطل المهووس بسيطرة الأسواق"(٢) - يزيد والبنك الدولي الضغوطات من خصخصة المرافق العامة اللبنانية. هذه الضغوطات تأتي تحت عنوان "تقويم" و"توصيات" في مجالي السياسة العامة والسياسة الإقتصادية، لكنها في الواقع تصر إلى دفع لبنان لوضع خطط وبرامج الخصخصة في موضع التنفيذ، "وزيادة الجهود من أجل توسيع نظامه الضرائبي"(٣) من أجل تخفيض الدين. هذا الأخير، يشكل عقبة أمام النمو. ويمكن التذكير، في هذا المجال، أن خدمة الدين وأجور الموظفين يشكلان ٨٥٪ من النفقات العامة.

ماذا يقول القانون؟

يسمح القانون، الصادر في تموز ٢٠٠٠، للحكومة بتحويل المؤسسات العامة إلى مؤسسات تجارية. كما إن إنشاء المجلس الأعلى للخصخصة عام ٢٠٠١ وانعقاده في مقر الرئاسة الثالثة، بالإضافة إلى ضمّه لأربعة وزراء والوزير المعني بالقطاع، فتحدد المؤسسات المنوي بيعها، والوقت الذي تتطلبه لإعادة هيكلتها والقيمة المادية لها...

بالإضافة إلى الخوف من وقوع البلد في يد مستثمرين أجانب (هذه المخاوف تظهر في ظل انعدام وجود مستثمرين محليين يتمتعون بخبرات ورساميل كبيرة لإدارة المؤسسات المنوي خصخصتها) من المرجح أنهم لن يضمنوا بسهولة عملية فرض حصة أفضلية للبنانيين، وذلك عند بيع الأسهم، وبالتالي إجبارهم على احترام ذلك. في الواقع، لا يتوافر، في هذا المجال نظام للإستثمار من أجل المستثمرين الأجانب، فالقانون العام المحلي يعتبر "منفتحاً جداً" حيث عملية نقل الرساميل تجرى بشكل سهل.

لماذا لا تحارب الدولة الهدر والفساد؟

يقول من هم إلى جانب الخصخصة، أن التجربة العالمية أثبتت أكثر من مرة أن القطاع العام لم يستطع أن يتماشى مع التقدم التكنولوجي والحاجات الجديدة للمستهلكين. ففقدانه للمرونة يمنعه من الإنخراط في هذا المجال التنافسي. بالعكس، الدولة المدارة من قبل بعض المصالح السياسية، تحمي نفسها من خلال احتكار هذه المرافق. وحدها الخصخصة تطلق عملية لبرلة الأسواق، عبر فتحها أمام التنافس وعبر تطوير الإقتصاد الوطني.

لكن المخاطر ليست قليلة. الخطر الأول يكمن في زيادة إحتكارات القطاع الخاص وزيادة أسعار الخدمات المقدمة للمستهلكين (خير دليل على ذلك،

التجربة المرة لقطاع الإتصالات). فالمستفيدون من الخصخصة سيصبحون أصحاب الأسهم وليس المستهلكون. وبالتالي لن يكون استبدال الإحتكار العام وتجييره للقطاع الخاص سوى غلطة كبيرة.

أكثر من ذلك، يتقاطع، في لبنان، قطاع الأعمال مع الوسط السياسي (لعدم القول أنهما واحد)، فهناك مخاطر جدية لرؤية رجال السياسة يديرون القطاعات المخصخصة. الأسطورة التي تتحدث عن صوابية خيار القطاع الخاص لا يمكنها أن تقاوم أنها نتيجة فعل ممارس من قبل ذات الأشخاص، بنفس الطريقة، سواء في العام أو الخاص.

الخطر الثاني، يتجلى من خلال زيادة البطالة الناجم عن تسريح العمال المعتبرين "غير ضروريين" من أجل تأمين مردودية للمؤسسات المخصخصة. كذلك، ولعدم مدح الحاجة الإجتماعية (البديهية) للخدمات العامة، ومن الضروري أن يصل الجميع إلى هذه الخدمات بشكل عادل. فنحن مواطنون ولسنا مستهلكون. ومن الضروري كذلك تسجيل أن الخصخصة تعرف حدوداً خاصة بالنسبة إلى دول الجنوب، فهي تسبب ازدياد الأسعار، وبالتالي عدم قدرة الشعوب على تسديد الفواتير.

ال BOT ليس حلا

ينتشر الBOT (build operate transfer – بناء تشغيل تسليم) والBOTT (build operate train transfer – بناء تشغيل تدريب تسليم)(٤) أكثر فأكثر. وهما بشكل مبدأي النموذجان المعتمدان حيث الطبقة الحاكمة الحالية تريد بيع مؤسسة أو مجموعة مؤسسات أو تنفذ مشروع ضمن مدة ضرورية لاسترجاع القيمة المستثمرة. أما في BOTT، فعلى العكس، القطاعات العامة تلتزم تجاه المشغل الخاص بضمان استثماره، ويعتمد هذا الحل في الدول ذات الخزينة الضعيفة.

كما يتفق المختصون على اعتبار الBOT عملية خصخصة. حيث تقوم مجموعة خاصة باستثمار في القطاع العام، فتبني شبكات وتديرها خلال ١٠- ١٥- ٢٠ سنة. عند انقضاء هذه المهلة تعيد المجموعة هذا القطاع إلى الدولة حيث تكون الآليات والتكنولوجيات قد أضحت قديمة، نتيجة وجود آليات حديثة. يمكن أن يؤدي عقد الBOT إلى نقل احتكار الدولة إلى احتكار خاص (هذه الحالة تحققت مع ليبان سيل وسيليس، حيث شكّلتا نوعاً من القطبية، ومع تحديد الأسعار، توقفت المنافسة بينهما).

بالنسبة إلى شركة كهرباء لبنان، فإنّ عمليات الإنتاج والتوزيع سيجرى خصخصتهما من خلال عرض أسعار. أما النقل، فسيبقى من حصة الدولة، ووقع الاختيار على BNP PariBas للتحضير لهذه العملية.

في هذه الصورة، الخدمات العامة هي مواد استهلاكية، وبالتالي ينبغي أن تكون خاضعة لقانون العرض والطلب، حيث الذي يدفع أكثر "يحق" له أكثر. هذه المحاججات تقود الدولة إلى زيادة الهدر وتزيد الفروقات الطبقية. فحقوق المواطنين للتصرف بالخدمات العامة تصبح ضيقة. ويتحوّل المواطنون إلى زبائن. وإذا كانت القدرة الشرائيّة ضعيفة، فالعلاج يكون في زيادة الصدقات.

كذلك، في لبنان حيث الزبائنيّة والواسطة تسيطران، ونفس الأشخاص يحتكرون الرساميل السياسيّة والإقتصاديّة، من الطبيعيّ رؤية وزير يحمل حقيبة معينة ويتمتّع هو نفسه بإدارة الشركة الّتي تدير القطاع الذي "يحكمه" – القطاع الذي يملكه المواطنون اللبنانيون. لكن عن أيّة خصخصة يتكلّمون؟ عن خصخصة تنقل الملكية من العام إلى الخاص، حيث تكون عملية النقل، عملية تحويل تستفيد منها الطبقة الحاكمة التي تغتصب الشعب منذ سنوات!!

خلاصات ومطالبات

في البداية، ولتطبيق الشفافية تجاه المواطنين، على الوزارات والمجلس الأعلى للخصخصة، أن ينشروا أرقام وتفاصيل العمليات الجارية أو في طور التحضير لخصخصة شركة كهرباء لبنان.

كما على كل القوى أن تجتمع حول برنامج مطلبي يرفض أيّة عملية إغتصاب لحقوق المواطنين.

كما يجب تسجيل أهمية خلق نقاش مواطني، عام وشفاف، مع المعلومات الضرورية، لمعرفة صوابيّة أو عدم صوابيّة ولأيّة أهداف تُجرى خصخصة المؤسسة العامة لشركة كهرباء لبنان، وتحويلها إلى أسهم في البورصة. حيث يُفترض بأنها تهدف (المؤسسة) إلى ضمان استمراريّتها بأسعارٍ معقولة باعتبارها خدمة أساسية للحياة الاجتماعية والإقتصادية لهذا البلد.

ختاما، كفى!

كفى لآكلة اللحوم البشرية النيوليبرالية!

كفى للأمبريالية المتعالية!

كفى للمضاربة!

كفى أزمات! ■

المراجع:

(١) Alberto Gabriele, Policy Power Utilities in Developing Countries: A Critical Survey, United Nations Conference on Trade and Development, Geneva, no 168, février 2004.

(٢) Joseph Stiglitz, La grande désullision, Paris, Fayard, 2002, p.42.

(٣) في ٢٩ تشرين الأول من العام ٢٠٠١، دعا صندوق النقد الدولي الحكومة اللبنانية إلى اعتماد خطة عمل لتخفيض الدين. كما تحتل خصخصة، بالنسبة إلى الصندوق، القطاع الكهربائي الأولوية على مستوى البنية التحتية.

(٤) هناك العديد من الآليات التي يمكن أخذها بعين الاعتبار:
BOO: Build- Own and Operate، **بناء- امتلاك- تشغيل.**
DBO: Design- Build and Operate، **تصميم- بناء- تشغيل.**
ROT: Rehabilitate- Operate and Transfer، **إعادة تأهيل – تشغيل - تسليم.**
استعمال تقنية (BOO)، تكون عندما تقوم شركة خاصة بمشاريع بنى تحتية، حيث كانت هذه الأخير مدارة من قبل القطاع العام. تتمتع الشركة الخاصة بامتياز من أجل تمويل وضمان استثمار المشروع خلال فترة الإمتياز. عند نهاية مدة الإمتياز، يعاد المشروع إلى الدولة. أما (BOOT): Build, Own, Operate and transfer**، بناء، امتلاك، تشغيل، تسليم، فتأمل المؤسسة الخاصة الاستفادة من العائدات لاسترداد دينها وأتعابها. من خلال عقد (**BOT**) تحقق الشركة مشروعاً استثماريا وتنقله إلى القطاع العام دون أن تكون قد امتلكته (بالمعنى القانوني للكلمة).**

حلقة "أحمر بالخط العريض" عن المثليين لم تكن عن المثليين بقدر ما كانت توثيقاً للعنصرية

أحمر بالخط العنصري

رزان غزّاوي

يوم الأربعاء ٢٠٠٩/١/٢٨، طرح برنامج "أحمر بالخط العريض" على شاشة أل بي سي موضوعاً واحداً حول المثليين وهو "هل المثلية مكتسبة أم فطرية؟"، غير أنّ الأسئلة التي طرحها مقدم البرنامج، مالك مكتبي، لم تكن في سياق هذا المحور ولم تحاول طرح أجوبة منهجيّة وعلمية ووافية تجيب عن هذا السؤال، سلبيّا كانت الإجابة عليه أم إيجابيّة، بقدر ما كانت الأسئلة تعامل المثليين والضيوف - الذين لم يكونوا مثليين كما سنشرح لاحقاً في هذه المقالة - ككائنات لا غريبة عن المجتمع فحسب، ولكنّ تمّ التعامل معها كأنّ العملية الجنسية بحدّ ذاتها مركزاً لكيانهم ووجودهم ومحورا لحياتهم.

تمّ اختزال المثلية بالحياة الجنسية فحسب. وأقول العملية الجنسية لا الميول الجنسي. وهذا خلل مهين وعنصري في اختزال المثليين إلى كائنات جنسية وليس التعامل معهم، ببساطة، كبشر لهم حيوات واهتمامات، لا بل إنّ تهميش المجتمع لهم قد جعل العديد منهم نشطاء على الساحتين السياسية والحقوقية.

وهنا نستغرب مقالة ليال حدّاد في جريدة الأخبار، حيث تقول أنّ الحلقة كانت بعيدة كلّ البعد عن التعامل مع موضوع المثلية بشكل "فضائحي"، لا بل وتقول أن مكتبي تعامل مع المثليين بشكل "عميق": "قد تكون حلقة أول من أمس من أحمر بالخط العريض على أل بي سي من المرات النادرة التي يفتح فيها الإعلام العربي قضية المثلية الجنسية بهذه الجرأة وبهذا التعمّق خارج الإطار الاستعراضي والفضائحي."

لكن تعامل حلقة أحمر بالخط العريض كان تماماً على عكس ما تقوله حدّاد. لم يكن في الحلقة حواراً أكثر منه استجواباً وتحقيقاً ومساءلة ومحاسبة وعتاباً(!). نستطيع بسهولة استشفاف النمطيّة والتسطيحية في أسئلة مكتبي التي لا يمكن وصفها سوى بالترويجية والاستعراضية، لإرضاء جمهور ينبذ المثليين أصلاً رغم جهله بها.

وهنا نسأل السؤال التالي: هل يمكن لأي قناة عربية تتخذ من الجمهور ومشاهديها مصدراً لرزقها، حيث إن خسرتهم خسرت التمويل السعودي لها ومشاهديها الخليجيين والعرب على حد سواء، هل يمكنها أن تكون غير ذلك؟ ولا يظنن أحد أن المجتمع اللبناني أكثر انفتاحاً من المجتمعات العربية المجاورة، العنصرية نفسها تجاه الأقليّات، السلطوية الذكورية نفسها تجاه النساء، والتمييز نفسه تجاه المثليين.

إذن، يعلم مكتبي مسبقاً إنه لا يستطيع سوى أن يكون منحازاً، فلماذا يبحث في موضوع لا يُبحث من أصله في إعلام ممول هكذا وغير مستقل؟ بالطبع، ليزيد نسبة مشاهديه. لقد تمّ استخدام المثليين كوسيلة ترويجيّة للبرنامج. سقط البرنامج، وسقطت الـ ال بي سي معه.

لامنهجية مكتبي وعنصريته في تناوله للمثلية

أولاً، مكتبي كان منحازاً، ولم يسمح للحوار أن يذهب إلى مكان لا يريده هو. نجد ذلك في مناسبات كثيرة أحدها عندما كانت الطبيبة تتحدّث عن العلاج "التصحيحي" للمثليين إن لم يستطيعوا التكيّف مع المجتمع، رغم أنني أعتقد أن العلاج يجب أن يأخذه من لا يتكيف مع وجود المثليين أصلاً.

من قال أنّ للمثليين خاصية عدم التكيف مع المجتمع؟ أوليس رهاب المثلية دليلاً حاسماً وقاطعاً لعدم قدرة المجتمع للتكيف مع المثليين؟ لمن العلاج التصحيحي إذن؟ أعتقد أن الطبيبة ذات نوايا حسنة، لكن قلما تفيد النوايا الحسنة بحد ذاتها في مساعدة المعنيين بالأمر. لم تكن الطبيبة أخصائية أو احترافية في التعامل مع موضوع المثليين. وسنشرح ذلك لاحقاً هنا في أمثلة.

نعود إلى مكتبي. عندما أرادت الطبيبة شرح التأهيل والعلاج التصحيحي قال لها، "سوف نتحدث عن إعادة التأهيل والعلاج بآخر الحلقة"، في حين أنّه لم يفعل، مع أنّ الطبيبة قالت وبشكل واضح أنّ المثلية ليست مرضاً، حاسمة الجدل حول وجوب معالجة المثليين لكونهم ليسوا مرضى. ورغم مفصلية وأهميّة هذه النقطة بالذات، والتي كان من الممكن الاستفاضة بها، تجاهل مكتبي هذه النقطة تماماً وذهب ليسأل هناء، الضيفة من السعودية، لم طلّقت زوجها(؟).

نقطة أخرى مهمّة تجاهل مكتبي الحديث عنها وقد تناولتها الطبيبة في قولها أنّ الدراسات تشير إلى أن التوجه الجنسي ليس منمطاً، حيث ليس بالضرورة أن يكون الذكر منجذباً إلى الأنثى أو العكس صحيح. من هنا فإن المثليين هم أشخاص لهم وظائف جنسية واحدة إنّما بميول جنسية مختلفة، وهذا الميول، لا قاعدة له لتشذ عنها. هذه النقطة من شأنها أن تدحض كل نقاش يتناول المثليين كأشخاص ضدّ الطبيعة، غير أنّ مكتبي فضل أن يسأل الضيفة من السعودية إن كان سبب طلاقها من زوجها له علاقة بتجارب سابقة مع النساء.

ليس هناك من شكّ في الأمر، مكتبي لم يكن يريد مناقشة المثلية بصدق وأمانة، بل استخدم جميع الأسئلة النمطيّة والعنصرية في زيادة الجهل والعنصرية تجاهها.

مقدّم لا يفقه أصول طرح السؤال

لنبحث حواره مع هناء، أجابت الأخيرة بكل وضوح عن أسئلته حول طلاقها مع زوجها أنّ الطلاق لا دخل له بتجاربها الجنسية السابقة مع النساء، بل كانت علاقتها مع زوجها عن "اختيار وعشق وممتازة" لكنها لم تستمر لـ "سوء التفاهم". أصرّ مكتبي على معرفة أسباب الطلاق "ممكن أعرف سبب الطلاق أم هي أسباب خاصة"؟

وهنا نسأل، أليس السؤال "ما سبب طلاقك؟" بحد ذاته خاص مهما كانت الأسباب؟ فالإجابة عليه حتما ستكون خاصة، لكنّ هذا السؤال يعكس تماماً لا احترافية مكتبي في إلقاء السؤال من أصله. تخرج العبارات منه دون معان. إنّ هذا الفشل كمقدّم في طرح أيّ سؤال منطقيّ سيعكس بالضرورة تناوله لأي موضوع حسّاس وجدليّ كموضوع المثليّة بفشل. إذن، نحن أمام مقدم منحاز لضمان مموليه الخليجيين ولكسب جمهور أوسع، ونحن أمام مقدّم لا يفقه أصول طرح السؤال.

لنعود إلى هناء، حاول مكتبي استدراجها لتقول أن علاقاتها السابقة مع النساء سبب طلاقها من زوجها كونها لا "تستطيع ربما أن تُشعر الرجل بلذة كاملة معها"، ولهذا السبب كان زوجها يخونها حسب تحليل مكتبي طبعاً. أصبح النقاش غريباً جداً، المشكلة أولاً هي التعامل مع هناء على أنها مثلية في الوقت الذي تقول فيه أنها ليست مثلية، رغم ممارستها الجنس مع بنات جنسها، ثانياً، الطريقة التي تُعاملُ بها هناء ليست حوارًا وإنما استجواباً كي يأخذ منها ما يشدّ ويرضي الجمهور

المتعطش لأيّ جملة حول حياة خاصّة بينها وبين زوجها أو بينها وبين النساء.

اختيار ضيوف لا علاقة لهم بالموضوع

ليكن الأمر واضحاً لدى كلّ قارئ ومشاهد لتلك الحلقة، لم تكن بين جميع الضيوف الأربع، بالإضافة إلى التقرير عن الشاب المصري مثلي أو مثلية سوى ضاوية التي أخذت من وقت البرنامج القليل القليل، رغم أنّ مشاركتها كانت فخر لكل مثلية ومثليّ.

أقول لم يأتي مالك بمثلية غير ضاوية، بل أتى بأشخاص مارسوا الجنس مع نفس الجنس وشتان ما بين الأمرين. هناء مارست الجنس مع النساء فقط، وهي توضح أن ما حدث وما كانت تريده من النساء هو الجنس فقط في تعذّر حصولها على الذكر، وهذا لا يمت بصلة بالمثلية بتاتاً. وجلب مكتبي ضيوفاً آخرين غير مثليين على أساس أنهم مثليين، فقط لممارستهم الجنس مع نفس الجنس، هو جهل مريع وتشويه للمثلية وانعدام الأمانة في طرح موضوع المثلية من جهة أخرى، وهنا نجح مكتبي عبر هذا الخلل الهائل في طرحه للمثلية أن يعزّز الصورة النمطية المشوّهة أصلاً عن المثليين.

سوء اختيار الضيوف (وإن كانوا من أسواق تلفزيونية كبيرة: مصر والسعودية) لم يكن سوى عبارة عن مساعدة كل ما لا يفهم المثلية أن لا يفهمها مطلقاً، ويدينها دوماً ويؤكد على صورتهم الجاهلة بها. مكتبي ضرّ القضية أكثر ممّا يعتقد بكثير، ولن يغفر له التاريخ ذلك في مسيرته الإعلاميّة.

هناك شرخ هائل في الحلقة من الأساس، فالحلقة التي يفترض أن تكون حول المثليين لم تكن سوى عبارة عن حلقة مكونة من أشخاص مارسوا الجنس مع بنات وأولاد جنسهم فحسب.

هناء كانت مركز الحلقة كونها ذات قصص "جذابة"، والطبيبة لم يسمح لها بالحديث مطولاً عن الدراسات التي تؤكد عدم صحّة أي حديث يقول أن المثلية "شذوذ" أو "مرض". لكن تصميم مكتبي على جعل كل من هناء وعمر من مصر مثليين هو المرض، في الحلقة كلّها. لكم مثالا آخر:

تحدثت هناء عن زوجها وعن كونه خائناً وكان هذا سبب طلاقهما، قالت أنّ "الرجال كلّهم خونة وهذه طبيعتهم في رأيي"، الأمر الذي نسمعه من نساء كثر كانت لهنّ تجارب سيئة مع الرجال. هنا يصمت مكتبي وكأنه فكّ لغز هناء حيث قال: "أنت تقولين الرجل يعني خائن، يعني لديك صورة سلبية عن الرجل"، صفقوا جميعاً. إذن، هناء مثلية!

كل الحوار ما بين مالك وهناء كان يتمحور حول النقطة التالية: هناء تقول إنها ليست مثلية، بل مارست الجنس مع الإناث للجنس فقط، وتؤكد على أنها لن تتخلى عن الرجل أبداً، وتعتبره كائناً جميلاً وهناء تقول أن الرجال كلهم خونة وتحب خيانتهم. ومالك، في الجهة الثانية، يقول إنها مثلية، ويصر على سؤالها الأسئلة التالية:

١. أنت طلقت زوجك أم هو فعل؟
٢. ما سبب الطلاق؟ أم هو سبب خاص؟
٣. هل تريدين رجل أم امرأة؟
٤. هل حددت هويتك الجنسية؟
٥. هل أنت مكبوتة لذلك تمارسين الجنس مع النساء؟

فرويد لايت

هنا تتدخّل الطبيبة لتعلّق على "حالة" هناء وتقول أن هناء ربما لديها حاجات جنسية "أكثر من المعدل"، الأمر الذي أجده مضحكاً، فهل هناك معدلاً للرغبة؟

تحدّثت الطبيبة عن عقدة أوديب وما قالته ليس غريباً على أي شخص مطلّع. وهنا يأتي دور مكتبي المحلل النفسي في استجواب عمر من مصر: كيف علاقتك مع أبيك؟ كيف علاقتك مع أمك؟ هل تعتبر أنت وأمك واحد؟ هنا الحقيقة ضحكت، ذلك أن الطبيبة قالت أنه في حالة المثليين الذكور تجدين أن الأطفال الذكور لديهم "انصهار تام" مع الأم ويبحثون عن الأب، ومن هنا يبحثون عن شريك ذكر. وكأن سؤال مكتبي أتى كمحاولة لفكّ لغز "المثلي" وراء عمر، الذي شرح بوضوح رأيه المندّد بالمثلية.

عمر عمره ٢٠ سنة من مصر يقول أن والده عصبي جداً وقاس وغائب دوما عن البيت. يضيف أنه بسن ١٤ كانت هناك ملامسات من ذكور، ويقول إنه كان ابتزازاً، ولم يكن راضياً عن الموضوع. سأله مكتبي عن علاقته بالفتيات، يجيب عمر: "بموت فيهم، بحبهم جداً على فكرة". ويقول عمر، أن اصطحابه "الوحشين" هم السبب وراء تطور "ميوله" نحو الذكور.

تجدر الإشارة إلى أنّ عبارة "تطوّر الميول" هي عبارة مكتبي وقد استخدمها عمر في إجابته. يتابع مكتبي استجوابه لعمر ويسأله: "ايمتا عمر حددت ميولك الجنسية تجاه الرجال؟"

أولاً، هل تُحدد الميول الجنسية أصلا؟ إن في هذا افتراض على أنّ المثليين وحدهم، إن سلمنا أن عمر مثلي أصلا، يحددون مسبقاً ميولهم الجنسية ومن هنا هم ليسوا "طبيعيين" كالغيريين الذين يولدون دونما تحديد مسبق للميول الجنسية. إنّ هذا السؤال هو دليل آخر لجهل وعنصرية مكتبي تجاه صحيّة وجود المثليين. ثانيا، هل هذا سؤال يسأل إن كان عمر يقول وبكل وضوح انه ليس مثليا بل أن أصحابه "الوحشين" هم من أدخلوه إلى ممارسات جنسية بين بعضهم؟

عمر أوضح أنه يريد الرجوع إلى "طريق الصح"، فكيف يُسأل متى حدّد ميوله الجنسية؟ مكتبي ليس مهتم من الأساس لما يقوله الضيوف، لديه أجندة من الحلقة ولديه أجوبة يريد الحصول عليها من شاب في العشرين بغض النظر عما يقوله هذا الأخير. لم تشهد الـ "ال بي سي" فاشلا، كمكتبي إعلامياً.

وفي سؤال لمكتبي الذي يعتبر إدانة واضحة للمثليين كونهم "غير أسوياء" يسأل عمر السؤال التالي: "يلفتك الذكر المغاير السوي ولاّ المثلي"؟ يعني المثليين بالنسبة إلى مكتبي وبكل صراحة ليسوا أسوياء. هنا أصبح كلّ ما سبق واضحاً أكثر للعيان.

وفي مثال يعكس مدى اهتمام مكتبي بالعامل الجنسي فحسب، في تناوله لموضوع المثلية، نراه في سؤاله لعمر الذي اتصل من قطر وقال لمكتبي أنه مثلي وبشكل علني، وباشر يخبره أنه قال لوالديه بكل صراحة أنه على علاقة مع شخص لأكثر من سنة، هنا يسأله مكتبي سؤالاً واحداً: "يعني كانت علاقتك معو جنسية كاملة"؟

أخيراً، كانت مداخلة ضاوية من الجزائر، الوحيدة التي تُعتبر أنها كانت حول المثلية. ففي إجابة لها لسؤال مكتبي "كيف تغوي امرأة امرأة؟" أجابت بعفوية صادقة أنّه ليس إغواء، بل انجذاب.

وهنا يسألها سؤال لم أفهمه الحقيقة لغبائه، وعذراً لاستخدام هذه اللغة لكن لا يمكن وصفه بشكل آخر حيث يسألها: "لكِ عدة علاقات، ليه ما استقريتي بعلاقة وحدة؟"

أليست هذه حال الكثير من الشابات والشبان؟ لا أفهم لم يعامل المثليين كحالة خاصة تواجههم صعوبات خاصة؟ وهنا أرفض بشدّة الطريقة التي عوملت بها ضاوية عندما مرّت الكاميرا عليها ببطء تتفحصها من فوق إلى تحت وكأنها مخلوق يصعب تفسيره. كيف تجرؤون؟

لم يُعامَل الضيوف بالطريقة التي عوملت بها ضاوية من قبل الكاميرا، فقط لأنها الوحيدة المثلية في الحلقة.

وهنا أتى سؤال مشمئزّ من مكتبي مع تصاعد الكاميرا ببطء على جسد ضاوية: "أديش عندك أنوثة؟".

الكثير الكثير يقال عن عنصرية مالك مكتبي في تناوله لموضوع المثليين، الأمر الذي نعرفه، نحن المثليين والمغايرين والثنائيين واللاجندريين، فإن معركتنا ليست مع المجتمعات فحسب، بل مع القانون والإعلام العربي كلّه دون استثناء. ■

لعبة إنشاء الإمبراطورية الأميركية

الجزء الأول

إعداد: عادل السلمان

كلّما حاولنا فهم الروايات التي قيلت عن الأسباب التي دفعت الولايات المتحدة الأميركية إلى الدخول في الحرب، نلاحظ أن ثمة ما ينقص، وبأنّ الضباب يحيط بالأسباب الحقيقية. يبقى العقل، يبحث عمّا يرمّم تلك الثغرات ويزيل الضباب والركام في الروايات الّتي أشيعت.

لقد تعلّمنا في كتاب التاريخ، أنّ الولايات المتحدة الأميركية دخلت الحرب العالمية الأولى، بعد حادثة لوزيتانيا، ولم نعرف التفاصيل عن ما جرى بالتحديد. وفي الحرب العالمية الثانية كان هجوم بيرل هاربر الذي شنّته اليابان، شرارة دخول الولايات المتحدة الحرب، ويقف الشرح هنا. في فيتنام ساد الغموض، بحيث إنّ حادثة خليج تونكن أدخلت الولايات المتحدة في حرب شرسة ضد الفيتناميين. أما ما لا يستطيع العقل قبوله، هو أن تنظيم القاعدة استطاع خرق دفاع الولايات المتحدة وضربها في قلبها، مركزيّ التجارة العالمية ومبنى البنتاجون. وكانت آثار الهجوم لم تزل بعد فانهالت التحاليل من كلّ حدب وصوب وكلّ الأصابع تشير إلى تنظيم القاعدة.

ماذا جرى للوزيتانيا؟ لماذا أغرقتها الغواصات الألمانية؟ لماذا هاجمت اليابان بيرل هاربر؟ ما سبب ذلك الهجوم؟ ماذا جرى في خليج تونكن؟ ولماذا اتهم تنظيم القاعدة وليس أيّ من الدول التي هي على خلافٍ مع الولايات المتحدّة؟

في البداية

وجدت الولايات المتحدة نفسها، وهي تمتلك ما تمتلك من عناصر القوة الاقتصادية والعسكرية على امتداد التاريخ البشري، خارج هذا الصراع الاستعماري، وأرادت أن تسيطر على العالم من خلال ما يسمّى بـ"مساعدة الشعوب"، فقررت الانخراط في هذا الصراع من خلال الحربين الاستعماريتين الأضخم في التاريخ البشري، الحرب العالمية الأولى والثانية. من ثمّ، عندما اختفت الحروب الاستعمارية الكبرى، قررت أن تدخل حروبها الخاصة، مثل حربها على فيتنام. حسمت من خلال هذه الحروب الكثير من الأمور لصالحها. أزالت السيطرة الاستعمارية القديمة. وأحلّت محلّها السيطرة الجديدة على العالم كلّه بعناصر وأشكال وأساليب ووسائل جديدة، لا سيما بعد انتهاء الحرب الباردة. وحين وجدت أنّ القواعد العسكريّة الثابتة والأساطيل التي تجوب البحار والمحيطات لم تعد تكفي، قررت أن تنزل على الأرض بقوّاتها، مستعيدةً بذلك وسائل الاستعمار القديمة بالاحتلال المباشر في أفغانستان والعراق...

لكنّ الأسباب الّتي دفعت الولايات المتحدة إلى كلٍّ من الحربين العالميّة الأولى والثانية، فيتنام، وانتهاءً بالحرب الجديدة تحت ذريعة الإرهاب، نرى بأن الذرائع والأسباب المباشرة للدخول يحيطها القليل من الضباب وعلامات التعجب. فمن إغراق سفينة اللوزيتانيا والهجوم على بيرل هاربر وحادثة خليج تونكن وأخيراً ١١ أيلول، يوجد شيء مريب، فعلينا إزالة الستار عن المتحكم من وراء العرش.

الاقتصاد يحرك السياسة

المصرف المركزي المعروف بالـFederal Reserve هو مؤسسة خاصة، تُصدِر قوانينها الخاصة، وتديّن المال للدولة مقابل الفوائد. وهي تماماً ما أراد الآباء المؤسسون للولايات المتحدة الهروب منه عندما أعلنوا الثورة على الحكم البريطاني في ١٧٧٥. في أوائل ١٩٠٠ كانت العائلات المسيطرة في حقل البنوك، روكفلر، مورغان، واربرغز، وروثتشايلد، تخطط لإنشاء بنك مركزي جديد، لكنهم كانوا على يقين بأن الكونغرس والشعب لن يسمحوا بذلك، أدركت العائلات حاجتها إلى حادثة تؤثر على الرأي العام. استعمل ج. ب. مورغان نفوذه وأعلن بأنّ مصرفاً في نيويورك قد أفلس، عرف مورغان بأن هذا سيولّد اضطرابات كبيرة، تؤثّر على بنوكٍ أخرى، هذا ما جرى، فالشعب خوفاً من خسارةٍ أمواله قام بسحب كلّ مستحقّاته، وكنتيجة طبيعية لذلك، أقفل عدد من البنوك أبوابه بسبب الإفلاس. هذه كانت الشرارة الّتي كان المصرفيون الأميركيون بحاجة إليها للبدء بمخططهم. في عام ١٩١٠، عُقِد اجتماعٌ سريّ في جزيرة جيكل، قرب ساحل مدينة جورجيا الأميركية، الذي يملك فيها ج.ب. مورغان عقاراً. هناك تمّت كتابة نصّ إنشاء البنك المركزي. علماً بأنهم ليسوا رجال قانون، تم تسليم الوثيقة إلى نلسن ألدريخ، مندوبهم في الكونغرس، لإقرارها في الكونغرس. وكجزءٍ من المخطط، دعمت تلك الطبقة ودرو ويلسون في الانتخابات الرئاسية مقابل قبوله بالمخطط ومساندته، فلم يخيّب ظنّهم. قبل يومين من عيد الميلاد، حين كان عدد من رجال الكونغرس في منازلهم مع عائلاتهم، تمّ التصويت على هذه العريضة، وحسب الاتفاق جعل ولسن هذه العريضة قانوناً. بعد ذلك تأسّس المصرف المركزي، بعد ذلك أعلن الرئيس ولسن أسفه لهذا القرار.

لا يصدر المصرف المركزي النقد فقط، بل يديّنه للدولة مقابل فوائد. ومع زيادة أو انخفاض التدفّق يتحكّم البنك المركزيّ بقيمة العملة. كلّ دولارٍ يُصدره البنك المركزي يساوي قيمة الدولار بالإضافة إلى نسبة مئوية من الدين لصالح المصرف المركزي. وعندما يقع الوطن ضحيةً للدين والحاجة إلى المال لدفع ذلك الدين، يتمّ التوجّه إلى الجهة الوحيدة، أيّ البنك المركزي، فيولد بذلك المزيد من الدّين. هذا نوع من الاستعباد، لأنّ الشعب والدولة يصبحان تحت رحمة البنك المركزي لأنهم لا يستطيعوا الهرب من الدين الموجود من دون الغرق في المزيد منه.

الاقتصاد هو واحد من الأدوات الّتي يملكها المصرفيّون الدوليّون، الأداة الأخرى للربح والسيطرة، هي الحرب. منذ إنشاء المصرف المركزي في ١٩١٣، شُنَّت حروبٌ عديدة، أهمُّها، الحرب العالمية الأولى، الحرب العالمية الثانية، وفيتنام.

حادثة اللوزيتانيا

في عام ١٩١٤، بدأت الحرب العالمية الأولى وتركّز محورها بين ألمانيا بريطانيا وفرنسا. منذ بداية الحرب، أعلن الرئيس ولسن الحياد، لكن الإدارة الأميركية كانت تريد أيّة ذريعة لدخول الحرب. حسب وليام جنينغز "المصرفيّون يريدون دخول الحرب بسبب فرص الحصول على أرباح كبيرة". من المهم معرفة أنّ أهمّ شيء يستطيعُ أن يحصلَ للمصرفيّين الدوليّين هو الحرب، لأنّه يدفع الدول إلى اقتراض المزيد من المال، من

البنك المركزي مع فائدة. في وثيقة تبحث كيفية إدخال الولايات المتحدة الحرب، بين الكولونيل إدوارد هاوس، المستشار الأعلى للرئيس ولسن، ولديه علاقات وطيدة مع المصرفيين الدوليين، وسير إدوارد غراي سكرتير الخارجية البريطاني، تساءل غراي "ماذا سيفعل الأميركيون بحال أغرق الألمان سفينة ركّاب، على متنها أميركيين؟" ردّ هاوس "أظنّ أنّ سلسلة من الغضب ستجتاح الولايات المتحدة وهذا سيكون كافياً لانخرطنا في الحرب". ففي ٧ أيار ١٩١٥، وكما اقترح إدوارد غراي، أرسلت سفينة بريطانية باسم "اللوزيتانيا" عمداً إلى مياه خاضعة لسيطرة ألمانيا حيث كان معروفاً وجود سفن لهم. وكما كان متوقعاً، هاجمت الغواصات الألمانيّة السفينة. لفهم الحالة المقصودة لهذه الحادثة. كانت السفارة الألمانية قد أرسلت تحذيراً نشرته في جريدة نيويورك تايمز لتقول فيه أنّ "من يريد السفر عليه أن يتحمّل العواقب لأنّ السفر في حالة الحرب قد يؤدي إلى إغراق السفينة وخاصةً بأنها ستسلك مياهاً خطيرة". أعلنت هذه الرسالة بتاريخ ٢٢ نيسان من العام ١٩١٥ وجرى نشرها في ١ أيار ١٩١٥، مع أنّ الجريدة كانت تتردّد بنشرها لأنّها لم تتأكّد من مصدرها، لم تبلغ الولايات المتحدة الرحلة ولم تقم بتغيير المسار. أغرقت سفينة اللوزيتانيا في ٧ أيار من العام ١٩١٥ من قبل الغواصات الألمانية. وكما كان متوقعاً ولّد الإغراق موجاتٌ من الغضب. دخلت الولايات المتحدة الحرب بعد مرور وقت قصير. كلفت الحرب العالمية الأولى٣٢٣ ألف قتيلٍ أميركي. ج. د. روكفلر ربح ٢٠٠ مليون دولار منها، ولا ننسى كلفة الحرب ٣٠٠ مليار دولار، كلّها تمّ اقتراضها من المصرف المركزيّ مع فوائد، وبذلك تحقّقت أرباح المصرفيين الدوليين.

حادث بيرل هاربر

هاجمت الطائرات اليابانية الأسطول الأميركي في بيرل هاربر ممّا أدى إلى دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية. أعلن الرئيس فرانكلن روزفلت هذا اليوم، حسب تعبيره "التاريخ الذي سيعيش في العار". تاريخٌ سيعيش في العار بالتحديد، لكن ليس بسبب الهجوم المزعوم على بيرل هاربر، بل لأنّ الهجوم كان معروفاً قبل أسابيع من وقوعه، وجاء نتيجة استفزاز من جهة الولايات المتحدة. روزفلت، الذي ينتمي إلى عائلة من المصرفيين في نيويورك وعمه فردرك، كان في الاجتماع السريّ الذي نص على وثيقة البنك المركزي في جزيرة جيكل، كان متعاطفاً مع اهتمامات المصرفيين الدوليين، واهتمامهم كان دخول الحرب. من المعروف أنّ لا شيء يجلب الربح أكثر من الحرب. وفي رسالة خطيّة، تاريخها ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤١، أرسلها سكرتير الحرب هنري ستنسن إلى الرئيس روزفلت، تساءل ستنسن عن الطريقة الّتي سيُضمَن من خلالها أن تُطلق اليابان الشرارة الأولى، وبذلك يختفي الغموض على من هو المعتدي. فبذل روزفلت كلّ قدرته خلال الأشهر المؤديّة إلى الحادث لإغضاب اليابان. قام بتوقيف تصدير البترول الأميركي إليها الذي يشكّل ٩٠٪ من إجمالي احتياجات النفط في اليابان. تمّ تجميد جميع الأرصدة اليابانية في الولايات المتحدة. سلّف أعداء اليابان، الصين وبريطانيا، بالمال. زوّدها علناً بالمساعدات العسكرية، الخطوة الأخيرة تعتبر منافية للأعراف الدولية وخاصةً خلال الحروب. في ٤ من كانون الأول، قبل ثلاثة أيام من الهجوم، أعلمت المخابرات الأسترالية الرئيس روزفلت بأنّ هناك فريقاً يابانياً يتوجه إلى بيرل هاربر لكن روزفلت لم يكترث للتحذير. فكما تمنّوا وسمحوا، في ٧ كانون الأول ١٩٤١ هاجمت القوات اليابانية مرفأ بيرل هاربر وقتلت ٢٤٠٠ جندياً. قبل بيرل هاربر كان ٨٣٪ من الشعب الأميركي يرفضون أي تدخل بالحرب، بعد الهجوم تطوّع ما يقارب مليون شخص للحرب. من المهم معرفة أن ألمانيا النازية كانت مموّلة من شركتين، واحدة منها باسم اي.ج. فاربين (I.G. Farben)، هي مسؤولة عن صناعة ٨٤٪ من متفجرات ألمانيا، حتّى عن إنتاج زيكلون ب الذي استعمل في المخيمات إبادة اليهود، الشريك الآخر الغير المعلن عنه، كان شركة الزيت الأميركية التابعة لـ ج.د. روكفلر، حتّى أنّ القوى الجويّة الألمانيّة لا تستطيع العمل دون الإضافات في الوقود، كان هذا الوقود سُجّلت براءة اختراعه لشركة روكفلر. حيث إنّ قصف بريطانيا من قبل ألمانيا، كان مستحيلاً دون اتفاقية لبيع الوقود بين شركة روكفر وفاربين تساوي ٢٠ مليون دولار. هذا جزء صغير ممّا فعلته الشركات الأميركيّة لتمويل طرفيّ النزاع في الحرب العالمية الأولى. شركة أخرى تجدر الإشارة إليها، شركة إتحاد المصارف في نيويورك سيتي، لم تقتصر عملياتها على تمويل صعود هتلر إلى الحكم وحسب، إنما كان بنك نازيّ لتبييض الأموال الذي تمّ اكتشاف ملايين الدولارات من الأموال النازية في خزائنه. جرى توقيف شركة إتحاد المصارف لاتهامها بالخيانة بسبب تعاملها مع "العدو". كان نائب المدير العام لهذه الشركة، بريسكوت بوش جدّ الرئيس الأميركيّ الحالي جورج بوش.

حادث خليج تونكن

في ٢ آب من العام ١٩٦٤ تبادل مركب مادوكس الأميركي إطلاق النار مع مراكب فيتنامية، في خليج تونكن في فيتنام، وبعد يومين تعرّض المركب مادوكس والمركب ترنر جوي إلى هجوم آخر في الخليج نفسه. كان هذا الحادث السببَ الرئيسيّ الذي أدخل الولايات المتحدة في حربها ضد فيتنام. الحادث دفع الولايات المتحدة ومجلس الأمن الوطني إلى إعلان ثلاث خطوات لدخول فيتنام. لكن المشكلة الوحيدة، تكمن بأنّ هذا الاعتداء لم يحصل. سكرتير الدفاع في حينه روبرت ماكنمارا أعلن بعد سنين بأن الحادث كان غلطة. في العام ٢٠٠٥ أعلنت وكالة الأمن القومي الـNSA من خلال تحقيق لها، بأنه لم يحدث أي إطلاق للنار من قبل الفيتناميين في ٤ آب، وأيضاً أعلن القبطان هاريك قائد مركب مادوكس في نهار الاعتداء المزعوم، بأن الرادار قد خانه بسبب الطقس وبأنّ السفن الفيتنامية لم تطلق أية صواريخ. وفي ٢ آب كان هاريك قد أمر البحّارة بإطلاق النار بحال اقتربت المراكب من ١٠،٠٠٠ ياردة، وكانوا قد أطلقوا ثلاثة أعيرة نارية لتحذير المراكب، وهذا أيضاً بحسب تقرير وكالة الأمن القومي الـNSA. وكانت أميركا قد استفزت الفيتناميين بدخول السفن الأميركيّة إلى داخل حدود مياه فيتنام الدولية. وكان الرئيس الأميركي لندن جونسون قد أعلن: "كلّ ما أعرفه أنّه قد نكون نطلق النار على الحيتان". لكن بعد إعلان الحرب أصبح الأمر تجارة كالعادة وفي أواخر العام ١٩٦٦ رفع الرئيس جونسون الحظر عن الإتحاد السوفيتي على يقين بأن السوفيات سيمدون الفيتناميين بالسلاح. بعد تلك الخطوة، قامت شركات روكفلر بتمويل مصانع في الإتحاد السوفيتي الذي استعمله السوفيات لصناعة السلاح وإرساله إلى فيتنام. في العام ١٩٨٥ تمّ رفع السرية عن قوانين الاشتباك الّتي أقرّتها الولايات المتحدة وقد نصّت على ما يستطيع وما لا يستطيع فعله الجنود الأميركيون. احتوى هذا الاتفاق على أنّ الأجهزة الفيتنامية المضادّة للطيران يُمنع قصفها قبل التأكّد من أنّها تعمل، يمنع اللّحاق بالفيتناميين عندما يدخلون حدود لاوس أو كمبوديا، وأخيراً يمنع التعرّض للأماكن الإستراتيجية حساسّة، من دون موافقة من السلطات العسكرية العليا. بعيداً عن هذه القواعد، أعلمت فيتنام بهذا القرار وبذلك تمّ بناء خطتها العسكرية على أساس هذه التقييدات. لهذا دامت الحرب لفترة طويلة، حرب فيتنام لم تكن مخططة لأن تربح بل لأن تستمر. هذه الحرب كلّفت ٥٨،٠٠٠ قتيلاً أميركياً و ٣ ملايين قتيلاً فيتنامياً.

الولايات المتحدة الأميركية شنّت حروباً تحت ذريعة السلم الأهلي، لكنّ المهدِّد الأوّل لسلمها الأهليّ هو من داخلها. هل يحقّ لها أن تشنّ حرباً على أعداء هي اعتدت عليهم؟ حرب للاستعمار، حرب غير مبررة لكن من سيمنعها؟ ■

رأي، ورد:

العلاقة ما بين الفكر الاشتراكي والفكر اليهودي

إن أي دراسة معمقة في تاريخ الشيوعية - الإشتراكية واليهودية ستكشف أن هناك تيار قوي معاد لليهود واليهودية داخل الفكر الشيوعي والاشتراكي وأن كثير من المفكرين الاشتراكيين من اليهود كانوا هم أنفسهم معادين لليهود واليهودية. فالبلاشفة اليهود قد رفضوا اليهودية بل وساهموا في صياغة السياسة البلشفية تجاه الجماعة اليهودية وفي تطبيقها. وسأقوم من خلال الاستناد إلى تاريخ وأفكار وكتابات الحركة الشيوعية العالمية بتقديم الإثبات على أن الحركة الشيوعية لهي من ألد أعداء اليهودية فكراً وديناً مع توضيح الأسباب بالطبع. الهدف من هذه الدراسة تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة السائدة اليوم بين الشيوعيين في العالم تجاه الأديان وتحديداً الدين اليهودي الذي يختلف عن باقي الأديان كونه نتاج جماعة بشرية تهدف من خلال هذا الرداء الوصول إلى مصالحها الخاصة على حساب باقي المجتمعات والشعوب الأمر الذي يتنافى كلياً مع الفكر الشيوعي الهادف إلى تحقيق المساواة العالمية بين كل شعوب العالم.

لكي لا تكون الأمور ملتبسة وللتوضيح فقط سأبدأ بوضع تعريف صغير عن ماهية اليهود واليهودية. إن الفكر اليهودي مرتبط بشعائر بدائية لا عقلانية أو طقوس لا روح فيها وهي بذلك تتعارض والمفهوم الاشتراكي الكلاسيكي الذي يتم في إطار مفاهيم علمانية مادية مثل مفهوم الإنسان الطبيعي أو المادي وهو مفهوم مادي اختزالي يسقط أي خصوصية أو هوية ويرى الإنسان باعتباره جزء من الطبيعة المادة. ويترتب على هذا المفهوم عدة نتائج أهمها رفض الخصوصية العرقية لليهود على أساس أنهم مواطنين عاديين يجب دمجهم في المجتمع. ولقد قام المفكرون الاشتراكيون بالهجوم الضاري على اليهودية باعتبارها شكلاً متخلفاً للمسيحية بالإضافة إلى أسباب أخرى لا تقل أهمية. فاليهودية تتضمّن عناصر نفعية أنانية تشجّع اليهود على الاهتمام بأنفسهم وعلى كره البشر، كما أن اليهود بوصفهم عنصر هامشي غير منتج يتركّز في التجارة والأعمال المالية ولا يتّجه إلى الصناعة أو الزراعة أبداً (جماعة وظيفية وسيطة)، وبذلك فإن هناك علاقة عضوية بين اليهود والرأسمالية خصوصاً في شكلها التجاري المتمثل في الأعمال المالية والبورصة ولقد ساوى كارل ماركس بين برجزة المجتمع (أي سيادة العلاقات التعاقدية البرجوازية فيه) من جهة وبين تهويده من جهة أخرى.

وفي هذا، يذهب شارل فوييه (١٧٧٢-١٨٣٧) أحد أهم النقاد الإشتراكيين لليهود إلى أن التجارة هي مصدر كل الشرور وأن اليهود تجسيد لها وهم في تصوّره ليسوا جماعة دينية إنما جماعة قومية غير متحضرة وبدائية ومعادية للحقيقة ولا بد للمجتمع من التخلّص منهم بالدمج أو الطرد. ويرى فورييه أن لفظتي (يهودي) و(لص) مترادفتان وأن اليهود عنصر تجاري لا ارتباط ولا انتماء له بوطن، هذه الفكرة التي أكّدها كارل ماركس أيضاً في قوله أن رأس المال لا دين له ولا هوية ممّا يعود بنا إلى العلاقة العضوية القائمة بين اليهودية والرأسمالية. ويتابع فورييه مهاجماً ومنتقداً اليهودية واليهود قائلاً أن سبب عدم استثمار اليهود أموالهم في الصناعة والزراعة يعود إلى رعبتهم بعدم ربط مصيرهم بمصير الدول التي يعيشون فيها. ولقد ترك فورييه أثراً عميقاً على الفكر الاشتراكي بعده فألفونس توسينيل وهو تلميذ فورييه ذكر في كتابه (تاريخ الإقطاع المالي) بأن الكتاب ليس هجوم عنصري على اليهود وحذّر منذ البداية من أنّه سيستخدم كلمة (يهودي) لا بمعناها الإثني إنما بمعنى المرابي واللص وهو بذلك ربط ما بين اليهود كجماعة وظيفية وبين الطفيليين الذين يعيشون على جهد الآخرين. ولقد ظهر في نفس الاتجاه أدولف ألايزا الذي ترأس مجلة لارينوفاسيون الناطقة باسم الحركة الاشتراكية ويرى ألايزا أن اليهود مثل البكتيريا القذرة والتي تؤدي إلى عفن المكان الذي تصل إليه فاليهودي يتآمر ضد الأمن الوطني لحساب مصالحه وذلك بأمر ديني يعطيه الحق في فعل ما يريد لتحقيق مآربه.

وتعبّر آراء ميخائيل باكونين (١٨١٤-١٨٧٦) المنظّر والمفكّر الروسي عن كره عميق لليهود بسبب الدور البارز لأعضاء الجماعة اليهودية في التجارة والمال في أوروبا وهو ما كان نتاجاً لميراثهم التاريخي كجماعة وظيفية. ويعتبر باكونين أن اليهود هم الخطر الأكبر وأنهم القوة الحقيقية في أوروبا إذ أنهم يسيطرون بشكل مطلق على التجارة والبنوك وعلى جزء كبير من الصحافة. إن هذه الرؤية المعادية لليهود غير مقصورة على المفكرين غير اليهود وحدهم، ففرديناند لاسال مفكر اشتراكي ألماني يهودي (١٨٢٥-١٨٦٤) كان له آراء مشابهة لبوكانين فقد أكّد تنصّله من اليهودية لأنه يبغض اليهود.

لقد كان عداء الاشتراكيين والثوريين لليهود يستند إلى تحليل طبقي يفترض فيه أصحابه علميته وموضوعيته. هذا التحليل الذي ظهر بشكل أكثر مع المفكرين والزعماء الشيوعيين أمثال لينين وتروتسكي.

انطلق لينين من تعريف محدّد للأمة هو أنها جماعة لا بد وأن يكون لها أرض تتطوّر عليها الأمر الذي لا يتوافر في اليهود كم لا بد وأن تكون للأمة لغة مشتركة وهو الأمر الذي لم يكن متوفراً في اليهود ولقد ناقش لينين القضية من منظور معمّم فتساءل هل اليهود بشكل عام وفي كل زمان ومكان يشكلون قومية أم لا؟ وهل هناك خصوصية مقصورة عليهم؟ وهو في هذا يشير إلى فكرة الديانة اليهودية لا فكرة الأمة وحسب، هذه الفكرة التي تدعو إلى تخصيص اليهود وتمييزهم عن باقي شعوب العالم. ولحل هذه المشكلة رأى لينين بأنه يجب دمج اليهود في المجتمع وجعلهم ينخرطون في النضال الثوري إلى جانب المضطهدين من الطبقة العاملة وذلك للقضاء على الأفكار الدينية اليهودية من ناحية وتلقينهم الأفكار والقيم الثورية والعلمانية التي بواسطتها سيتم إلغاء الفكر الديني اليهودي الهدّام العنصري من ناحية ومن ناحية أخرى للقضاء على المجتمع البرجوازي اليهودي الذي كان يعتبره لينين الأخطر على الثورة البلشفية. ولقد كان محقاً في فكرته هذه إذ كان البرجوازيين اليهود من أكبر وأوّل المموّلين لثورة الروس البيض في وجه الثورة البلشفية الحمراء لما فيها من خطر داهم على الفكر الديني اليهودي الذي يحمي مصالحهم.

رأى لينين أنه ولا بد أن يذوب العمال اليهود في المجتمع الثوري الجديد وهذا هو الخط العام الكامن في حركة الاستنارة وفي كل الحلول الماركسية. ولهذا أيضاً وقف لينين وتروتسكي موقف المعارضة الكاملة من فكرة القومية اليهودية العامة العالمية (الصهيونية). ولا يخرج ستالين عن الموقف العام للزعماء الماركسيين السابقين وهو إن اعترف بالدولة الصهيونية فيما بعد فذلك كان في إطار محاولة لإحداث شرخ دائم العلاقات الأميركية - العربية حول فلسطين. فلقد كان السوفيات يدركون انهم لن يخسروا شيئاً في المنطقة لأنهم لا يملكون شيئاً على عكس الولايات المتحدة الأميركية التي ستخسر الكثير من جرّاء هذا الموقف. ولقد ظهر ذلك بشكل واضح لاحقاً حين أدرك السوفيات عدم جدوى قيام أي علاقة مع هذه الدولة الاستعمارية، -الأمر الذي أدركه في وقت سابق الزعيم الشيوعي اللبناني فرج الله الحلو- فقاموا بقطع العلاقات ودخلوا في تحالف مع العرب.

ولقد كان تروتسكي الزعيم الماركسي اليهودي هو الآخر ضد فكرة القومية اليهودية ولهذا فقد عارض الصهاينة وكان رأيه أن حل المسألة اليهودية لا يكمن في تأسيس دولة يهودية بين دول أخرى غير يهودية. الأمر الذي كان سبباً بين الأسباب التي أدّت إلى الخلاف مع ستالين الذي اعتقد أن هذا سيُبعد المشكلة اليهودية لبعض الوقت في حين كان بأمسّ الحاجة لبعض الوقت لتنظيم الثورة والدولة ولقد عاد وتبيّن لاحقاً فداحة الخطأ الذي وقع فيه وعاد ونسج العلاقات مع العرب كما ذكرت سابقاً.

ولقد تبنّى خروتشوف نفس الموقف المطلق الكلّي إذ تحدّث عن اليهود (في تعليق له بجريد الفيجارو في ٩ نيسان ١٩٥٩) بأنهم المسؤولون عن كافة المشاكل في المجتمعات منذ أقدم الأزمنة وهم لا يحبّون العمل الجماعي والانضباط الجماعي وهم في الواقع فرديون يعملون من أجل تحقيق مصالحهم الخاصة. ■

طارق العلي

ردّ من التجمع اليساري من أجل التغيير:

العنصرية لا يمكن أن تكون أساساً للفكر الاشتراكي

اشتهر كارل ماركس عندما ردد مقولة أنّ الدين هو أفيون الشعوب، وكان ذلك ضمن تحليل علمي ونقديّ للدين عندما يخدّر الشعوب عن ألمها، بهدف الإبقاء على الوضع القائم المسبب لهذا الألم، من استغلال وفقر، وتشرذم وقمع... بل ويعد أتباعه بالجنة، ولكن بعد الموت. وهكذا، لا يمكّننا نقد أيّ من الأديان من خارج إطار النقد العلمي.

إنّ الدين اليهودي، كما سائر الأديان، يتضمّن مجموعة من الشعائر البدائية، اللاعقلانية والوثنية. تماماً كما يفعل المسيحيون عندما يذهبون إلى الكنيسة ويتناولون جسد المسيح. أو كما يفعل المسلمون عندما يمارسون عمليات السجود والنهوض في أوقات معينة من النهار. كل الأديان تمارس شعائرها وتقوم على الغيبية والروح.

والدين يقول بأن الإنسان جسد وروح وهو يعتني بهما. أما هذه الفكرة فتسقط أمام العلم القائل بأن العقل هو جزء من الجسد المادي الذي يتفاعل مع محيطه. وعملية التفكير ليست وحياً ماورائياً متفوقاً على الطبيعة والواقع، بل هو عملية تفاعل مع الواقع وبناء عليه. إذن، لا يمكن نقد الدين اليهودي من خلال نقد الشعائر التي يقوم عليها، كي لا يبقى النقد ضمن الدين وحدوده.

وإذا كان الدين مجموعة من الأفكار التي تعبّر عن توق الإنسان إلى العدالة والخير والسلام، فبالنسبة إلى ماركس، إنّ الناس يتحررون من الدين عندما يمتلكون زمام الأمور بثورتهم وبخلق مسار تاريخي لتحررهم. من هنا المغالطة بالقول إنّ "الدين اليهودي يختلف عن باقي الأديان"، وإنّ "اليهودية شكلٌ متخلفٌ للمسيحية"، فهذا القول يتبنّى وجهة نظر لاهوتية في تحليل الدين اليهودي وخصائصه، وبأنّ هناك أديان أسمى من أخرى. وكأننا بالأحرى نسأل أي من أتباع الأديان قادر على التحرر أكثر من غيره؟ هل هو المسيحي؟ أم المسلم؟ أم اليهودي؟

يقول ماركس في ما كتبه "حول المسألة اليهودية"، "لا يعود الدين بالنسبة لنا هو الأساس وإنما كظاهرة للمحدودية الدنيوية وحسب. ومن هنا فإننا نفسّر اللاموضوعية الدينية للمواطنين الأحرار بلاموضوعيتهم الدنيوية. لا ندّعي أن عليهم أن يتخلّوا عن محدوديتهم الدينية، ليزيلوا حواجزهم الدنيوية. بل نزعم أنهم سيتخلون عن محدوديتهم الدينية حالما يزيلون حواجزهم الدنيوية. إننا لا نحوّل المسائل الدنيوية إلى مسائل لاهوتية، وإنما اللاهوتية إلى دنيوية. نحل الغيبيات في التاريخ بعد أن انحل التاريخ وقتاً كافياً في الغيبيات. تصبح مسألة علاقة التحرر السياسي بالدين بالنسبة لنا علاقة التحرر السياسي بالتحرر البشري".

الدين يكرس الفوارق الماورائية بين الناس. فكل دين من جهة يعد أتباعه وحدهم بالخلاص. ويستثني أتباع الديانات الأخرى. أما الاشتراكية فتهدف إلى الاتحاد رغم كل الفوارق الماورائية، بل وتخطيها. لأن الفوارق المادية الحقيقية هي بين من ينتج الثروات، أي الطبقة العاملة، وبين من يسيطر على هذه الثروات ويتنعّم بها. سواء كان أعضاء هاتين الطبقتين من اليهود أو المسيحيين أو المسلمين. من هنا يأتي تأكيد ماركس بأن رأس المال لا دين له ولا هوية. وبالتالي تنعدم العلاقة بين الدين اليهودي وبين الرأسمالية. والشركات الرأسمالية تعبر عن نفسها بتوصيفها "عابرة للقارات" أو "متعددة الجنسيات". وهذا ينفي أيضاً مقولة أن اليهود هم "عنصر هامشي، غير منتج، يتركز في التجارة والأعمال المالية".

الأفكار العنصرية لا يمكن أن تكون أساساً للفكر الاشتراكي. فهي السلاح الذي تعتمده الرأسمالية بهدف قسمة الطبقة العاملة، بذهنية فرّق تسد، فتستغل وتربح.

العنصرية والتمييز والكراهية القائمة على أساس العرق أو الدين أو الجنس، تؤسس إلى تفكيك قوى المجتمع وتحول دون وحدة الطبقة العاملة. فالتهجّم على اليهود بأنهم لصوص ومرابين، يجب طردهم، وبأنهم كالبكتيريا يلوّثون المكان... هي الأفكار التي نقدها بشدة واضعو الأسس العلمية للفكر الاشتراكي. وهي نفسها الأفكار العنصرية التي بنيت المحرقة النازية عليها حيث عذّب وقُتل اليهود ومثليّو الجنس والشيوعيون.

كل مطالبة بطرد اليهود ساهمت في تأسيس الفكر الصهيوني، أي طرد اليهود وتوطينهم في أرض الميعاد وبالتالي احتلال فلسطين. من الضروري التمييز بين اليهود كدين، وخاصة كطبقة عاملة، وبين الصهيونية كقومية دينية. فليون تروتسكي معارض للصهيونية، وكل أشكال عزل الذات من قبل العمال اليهود. وهو لا يخلط بين اليهود والقومية اليهودية، أي الصهيونية، بل يقول "إن الطريق المظلم الذي تجد اليهودية الألمانية نفسها فيه، كما الطريق المظلم الذي تجد الصهيونية نفسها فيه، مرتبط بشكل لا فكاك منه بالطريق المظلم الذي دخلته الرأسمالية العالمية، ككل. حين يرى العمال اليهود بوضوح هذه العلاقة، عندها فقط سيتنبهون ضد التشاؤم والخيبة".

من كل ما تقدم، ما هو موقف الاشتراكيين من "القضية اليهودية"؟ لقد أراد البعض أن يرمي بهم في البحر. ويمكن للبعض الآخر أن يجيب كما حاول مشروع اليسار اللبناني في السبعينيات بعزل الانعزاليين. الأمر الذي أدى إلى عزل الموارنة من دون إمكانية إبراز التناقضات الطبقية داخل الطائفة المارونية.

نسمع البعض اليوم يستعمل التحليل اللاهوتي نفسه للقول إن السنة في لبنان هم برجوازيون والشيعة هم من الطبقة العاملة(١). لقد آن الأوان للاشتراكيين أن يتخطوا عقدة الدين والأفكار المتخلّفة في المجتمع، أن يكسروا الحواجز المتشكلة منها، أن يدوسوا عليها، ويمضوا في بناء الثورة الاشتراكية.

برناديت ضو

يكثر استخدام، في المقالات الصحفية، ثلاث نقاط أو عبارة إلخ، وتكون هذه الأخيرة أساس المقالة، أو في معظم الأحيان ما يمتنع الصحافي عن قوله.

ليست ثلاث نقاط

مواكباً الحرب الإسرائيلية على غزّة، أصدر التجمّع اليساري من أجل التغيير، ثلاثة أعداد من نشرة "فلسطين حرّة". هذه النشرة لم تأتِ من فراغ ولم تهبط بالمظلّة على الاعتصام المفتوح، الذي نظمته قوى يساريّة فلسطينيّة ولبنانيّة أمام مبنى الإسكوا مساهمةً في المقاومة ودعمها في مواجهة العدوان الإسرائيلي.

هذه النشرة لم تأتِ من فراغ، كما حال بعض الرؤساء، إنّما سبقتها نشرةً عام ٢٠٠٢، زمن العدوان الإسرائيلي على الضفّة وغزّة، زمن الانتفاضة الثانية. في ذلك العام، صدرت "فلسطين حرّة" وأوردت في مبرراتها ضرورة ربط الاعتصام المفتوح، أيّ اعتصام، بنشرة أو مادّة إعلامية تخاطب الجمهور وتبقيه على تواصل مع مجريات الاعتصام المفتوح وتطلعه على الموقف السياسي والمقاوم. موقفٌ يأبى أن يجلس في البيت ويتفرّج على جثث محروقة، ويستمع إلى ندبيّات إعلامية. نشرة عام ٢٠٠٢ تحوّلت إلى نشرة "اليساريّ"، التي رافقت حرب الولايات المتحدة على العراق، وعبّرت عن رفضها المتوازي للديكتاتوريات من جهة وللحرب من جهة أخرى. وصدر في ذلك الوقت من تلك النشرتين أعداداً كثيرة.

نشرة "فلسطين حرّة" لعام ٢٠٠٩، عبّرت عن هذا التراث وعن هذا التراكم بمعناه المقاوم. والنشرة إضافةً إلى كلّ ذلك، هي "الأخت" الصغرى لـ"المنشور". في هذا الاعتصام، أصدر التجمّع ثلاثة أعداد، بمعدّل عدد كلّ أسبوع. فتغيّرت وتيرة عمل إصدار "المنشور" إلى وتيرة أسرع. فكان الرفاق يكتبون مقالاتهم ويجمعون صور التحرّكات العالمية ويقابلون رفاقاً من تنظيمات يساريّة أخرى للكتابة أو للتصريح. واللافت في موضوع الصور كان الاعتماد بشكل أساسيّ على موقع flickr.com، تلك الصور كانت تعبّر عن المقاومة الشعبيّة في كافّة أرجاء العالم، من أوقيانيا حتّى أميركا، ومن الشمال وصولاً إلى الجنوب. في وقت كان مصوّرو الوكالات العالمية يتفننون في تصوير مشاهد "إبداعيّة" لأشكال القصف والغبار الناتج عنه والأضواء المنبعثة من ذلك. وكانت صورهم ملتقطة من بعيد، في مكان يرتاح في العدو. هذا دون إغفال الدور المهم الذي قام به المصورّون داخل قطاع غزّة.

تطبع النشرة وتباع. تباع لماذا؟ إحدى "اليساريّات" صرّحت إنّ "ذلك متاجرة بدماء الأطفال في غزّة". إذا كان بيع النسخة بـ٥٠٠ ليرة لاسترداد كلفة الطباعة المُقدَّمة من أعضاء التجمّع متاجرةً بدماء الغزاويين، فما هو تعريف التجارة؟

عند توزيع العدد، كان المتظاهرون يتهافتون لشرائه. كان هناك عطش لمعرفة الموقف السياسي من زاوية أخرى، من منظور مقاوم. وكانت الحاجة الملحّة لمستند أو ورقة لفتح نقاش وإعادة خلقه، وإعادة ربط الكاتب بالشارع الذي يخاطبه، دون أن يخافَ من "ارتهانه" لمديره ومالك الأموال التي هي في محفظته، ومالك أفكاره. أعادت ربط كاتب المقالة بالشارع دون أن يخاف من رصاص. أعادته إلى الشارع دون أن يتجوّل بسيارة دفع رباعية قُدِّمت له كـ"هدية"، بل يتنقّل على قدميه.

على كلّ، توقّفت النشرة مع "توقّف" العدوان وتوقّف الاعتصام. عادت المواجهة لتأخذ أشكالاً أخرى، لتأخذ شكل "المنشور" مثلاً.

هذه النشرة كائن ماديّ خلقه التجمّع سيبصر النور في اعتصام آخر، الولادة ستكون مستمرّة وبحركة لولبية تصاعدية مصطدمةً بأنظمة الصمت والقمع والتواطؤ. ليكون أداةً للتواصل والمخاطبة مع أكبر عدد ممكن الناس.

نضال مفيد



نشرة خاصة بالاعتصام المفتوح يصدرها "التجمع اليساري من أجل التغيير"
للمشاركة: almanshour@tymat.org



نشرة خاصة بالاعتصام المفتوح يصدرها "التجمع اليساري من أجل التغيير"
للمشاركة: almanshour@tymat.org

